التَّحْقِيق

فِي بَيَانِ بَعْضِ النُّصُوصِ الَّتِي قَدْ يُفْهَمُ مِنْهَا مَعْنًى لَا يَلِيقُ

تَأْلِيفُ

أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ

الدُّكْتُورِ فَيْصَلِ بْنِ مُسْفِرِ بْنِ مُعَوِّضٍ الزِّنَامِي الوَادِعِيِّ

الجزء الأول

حُقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

الطبعة الأولى

تنبيه: جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف فلا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو إضافة أو حذف أو شرح أو اختصار أو تغيير أو تبديل إلا بإذن من المؤلف.

للتواصل: +٩٦٧٧٧٧١٧٧١٩١

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

* فإن الله ﷻ أنزل إلينا كتابه العظيم، وجعله مباركًا وهدى للعالمين، فهدى به من شاء إلى صراط مستقيم، وقد جعله الله واضحًا بينًا؛ ليتم الاهتداء به، **قال تعالى**: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]، **وقال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ [يونس:٥٧].

* وقد أمرنا الله بتفهم وتدبر آياته، **قال تعالى**: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء:٨٢].

* وقد جعل الله للراسخين في العلم في ذلك أوفر الحظ والنصيب، وأمرنا بالرجوع إليهم في الملمات، **قال تعالى**: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ

وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ [النساء:٨٣].

☜ ثم اعلم حفظك الله أن الآيات منها ما هو محكم واضح المعنى لكل أحد، وهن أم الكتاب، ومنها ما هو متشابه خفي المعنى على كثير من الناس، ويفهمه أهل العلم، كلٌّ على قدر ما آتاه الله من الفهم، كما جاء عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الْوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قَالَ: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللهُ رَجُلًا فِي الْقُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ قَالَ: الْعَقْلُ، وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ. رواه البخاري (٣٠٤٧).

❋ وأمر الله برد ذلك المتشابه إلى المحكم، **قال تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ [آل عمران:٧].

❋ والواجب علينا تجاه نصوص الكتاب والسنة هو الأخذ بالظاهر ما لم ترد قرينة صحيحة تصرف اللفظ عن ظاهرة.

☜ ثم إن هناك من النصوص ما قد يفهم من ظاهرها معنى غير صحيح تصان عنه نصوص الكتاب والسنة، ولكنه قد يتبادر إلى أذهان بعض الناس، ثم تحصل عندهم الشبهة والإشكالات. وقد صان الله كتابه عن هذه الأفهام الخاطئة التي ربما اشتملت على معانٍ لا تليق بمقامات الرسالة والوحي؛ ولهذا وجب الرجوع في تفسير كلام الله إلى كلام السلف وإلى تفاسير السلف، وهكذا قل في نصوص الأحاديث عن رسول الله ﷺ. فلابد أن تُفهم فهمًا صحيحًا.

* فيجب على الإنسان العناية بفهم كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ فهمًا صحيحًا، حتى لا تُفهم على غير ما أراد الله.

☜ وقد جمعتُ في هذه الرسالة عددًا من تلك النصوص التي قد يفهم منها بعض الناس فهمًا لا يليق، وذكرت الأقوال الصحيحة في معناها من كلام أهل العلم وأصحاب الشأن؛ ولسعة هذا الموضوع تكون هذه الرسالة كجزء أول، وفيما يأتي إن شاء الله من العمر نكمل البقية، ونسأل الله أن يجعل في ذلك خيرًا، وأن يجعل لنا النصيب والحظ الأوفر من تفهم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعمل بهما والثبات عليهما حتى نلقاه، إنه على كل شيء قدير.

المسألة الأولى

قوله تعالى عن قوم لوط: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨﴾ [هود:٧٨].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من **قوله**: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ أنه عرضهم لقومه ليزنوا بهن وهذا قول باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال ابن جرير** رحمه الله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾: يعني نساء أمته.

قال مجاهد: كل نبي أبو أمته، فأمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يعرض عليهم سفاحًا.

وفي قراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أبٌ لهن﴾.

وقد بينتها الآية الأخرى وهي **قوله تعالى عن لوط**: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ١٦٦﴾ [الشعراء:١٦٥-١٦٦].

اهـ.

* **قال ابن حزم** رحمه الله[1]: إنما أراد لوط التزويج والوطء في المكان المباح، إذ من المحال أن ينهاهم عن منكر ويدعوهم إلى منكر. اهـ.

---

(١) في "الفصل" ص (٧).

* **جاءت فتوى للجنة الدائمة بهذا الموضوع**[1] السؤال: هناك من يفسر المراد **بقوله تعالى**: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود:٧٨] أن النبي لوطًا عليه السلام كان يقصد بذلك تعالوا وافعلوا الفاحشة -أي الزنا- مع بناتي من صلبي، وأن ما ورد عن المفسرين من تفسير الآية أن لوطًا عليه السلام أبٌ لجميع المؤمنات، وأنه كان يقصد الزواج الشرعي يخالف ظاهر سياق الآية، ويعلل ذلك بأن بالزنا أقرب إلى الفطرة من اللواط وأقل شذوذًا، وبالتالي درءًا لأعظم المفسدتين وهو اللواط، بارتكاب أقل الضررين وهو الزنا، حسب القاعدة المشهورة، فما قولكم في هذا التفسير؟ والحكم على الشخص؟

والجواب: المراد بجملة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [هود:٧٨] ندب هؤلاء الكفار إلى التزوج بالنساء ووطئهن في الحلال -سواء كن بناته أم بنات قومه، فإن بنات قومه بناته حكما؛ لكونه رسولا إليهم- واجتناب اللواط والاعتداء على ضيف لوط بالفاحشة، وعلى كل حال لم يرد الإذن لهم في الزنا ببناته ولا ببنات أمته فإنه من كبائر الذنوب في جميع شرائع الله تعالى، فينزه النبي عن الإذن فيه، ومن قال: إنه أذن فيه؛ لأنه أخف من اللواط، فقد أخطأ وغلط غلطا عظيما.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن قعود	عبد الرزاق عفيفي
عبد الله بن غديان	عبد العزيز بن باز

(١) فتوى رقم (٦٢٤٦).

☜ **فائدة:** وقد تأولت الرافضة أخزاهم الله هذه الآية، فأباحوا إتيان الرجل زوجته في دبرها، كما روى الطوسي، عن موسى بن عبد الملك، عن رجل قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها في دبرها؟ فقال: أحلتها آية من كتاب الله، قول لوط هؤلاء بناتي هن أطهر لكم، فقد علم أنهم لا يريدون الفرج. اهـ[1].عياذًا بالله من هذا الفهم المنحرف.

* **وقال الشنقيطي** رحمه الله[2]: اختلف العلماء رحمهم الله في المراد بقول لوط عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ في الموضعين على أقوال:

١- أنه أراد المدافعة عن ضيفه فقط، ولم يرد إمضاء ما قال. وبهذا قال عكرمة، وأبو عبيدة.

٢- أن المراد بناته من صلبه، والمعنى دعوا اللواط وأزوجكم بناتي، وعلى هذا فتزويج الكفار بالمسلمة كان جائزًا في شرعه، كما كانت بنات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تحت الكفار في أول الإسلام كما هو معروف.

٣- أن المراد بالبنات جميع نساء قومه؛ لأن نبي القوم أبٌ ديني لهم، كما يدل عليه **قوله تعالى:** ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ [الأحزاب:٦]، وفي قراءة أُبي بن كعب رضي الله عنه ﴿وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهن﴾ **وبهذا القول قال كثير من العلماء.** اهـ.

---

(١) من كتاب «لله ثم للتاريخ» (١/ ٤١).

(٢) في «أضواء البيان» (٢/ ١٨٩).

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ [هود:٧٨] قال بعض العلماء: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ يشير إلى بنات القوم، ما هن بناته من صلبه، ولكنه يعني بذلك بنات قومه؛ لأن النبي لقومه بمنزله الأب لهم، كأنه يقول: عندكم النساء، وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٥ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ﴾ يعني: من النساء، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء:١٦٦]. اهـ.

* **وقال** رحمه الله[2]: وقد ورد في مواطن أخرى من القرآن الكريم أن لوطًا عليه السلام قال لقومه: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ﴾، يعني: تزوجوهن.

وبعض المفسرين قالوا: ﴿بَنَاتِي﴾ يعني: بنات الأمة؛ لأن الرسول أب لقومه فيكن له بمنزلة بناته. والذي دعاهم إلى هذا أنهم قالوا: إن بناته مسلمات مؤمنات، وهؤلاء كفار، والكافر لا يتزوج بالمؤمنة. فيقال: الجواب عن هذا: إما أن شريعتهم تبيح ذلك، أو أن معنى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ يعني: فأسلموا وتزوجوهن. وهذا في الحقيقة كأنه يقول: أنا أحافظ على ضيوفي أكثر مما أحافظ على أي شيء آخر، يعني: فإني أحميهم حتى إني أتنازل عن بناتي وتتزوجوهن؛ من أجل المحافظة على هؤلاء المسلمين. اهـ.

---

(١) في «شرح رياض الصالحين» (٤/ ١٠٥).

(٢) في «تفسير سورة الشعراء» ص (٢٧١).

❊ **وقال القرطبي** رحمه الله[١]: وقد اختلف في **قوله**: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ فقيل: كان له ثلاث بنات من صلبه. وقيل: بنتان، زيتا وزعوراء، فقيل: كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه. وقيل: ندبهم في هذه الحالة إلى النكاح، وكانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة، وقد كان هذا في أول الإسلام جائزا ثم نسخ، فزوج رسول الله ﷺ بنتا له من عتبة بن أبي لهب، والأخرى من أبي العاص بن الربيع قبل الوحي، وكانا كافرين. وقالت فرقة- منهم مجاهد وسعيد بن جبير- أشار بقوله: ﴿بَنَاتِي﴾ إلى النساء جملة، إذ نبي القوم أب لهم، ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم﴾. وقالت طائفة: إنما كان الكلام مدافعة ولم يرد إمضاءه، روي هذا القول عن أبي عبيدة، كما يقال لمن ينهى عن أكل مال الغير: الخنزير أحل لك من هذا. وقال عكرمة: لم يعرض عليهم بناته ولا بنات أمته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا. اهـ.

---

(١) في «الجامع لأحكام القرآن» (٩/ ٧٦).

المسألة الثانية

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من **قوله**: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أنها الخيانة في العرض وهذا المعنى باطل ومنكر.

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال ابن جرير** رحمه الله: كانت خيانة امرأة نوح زوجها: أنها كانت كافرة، وكانت تقول للناس إنه مجنون. وأن خيانة امرأة لوط: أن لوطًا كان يسر الضيوف، وكانت تدل عليه.

❋ **وقال ابن كثير** رحمه الله: خانتاهما في الإيمان، ولم يصدقاهما في الرسالة، وليس المراد فخانتاهما في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء.

وهذا قول عكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وغيرهم من المفسرين.

❋ **وقال ابن كثير** رحمه الله: وقد استدل بهذه الآية بعض العلماء على ضعف حديث الذي يأثره كثير من الناس: (من أكل مع مغفور له غفر له)، وهذا الحديث لا أصل له، وإنما يروى عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال: آنت قلت: (من أكل مع مغفور له غفر له) قال: لا، ولكني أقوله الآن. اهـ. ومعلوم أن أحاديث رسول الله ﷺ لا تثبت بالمنامات.

* **قال السعدي** رحمه الله: خانتاهما في الدين بأن كانتا على غير دين زوجيهما، وهذا هو المراد بالخيانة، لا خيانة النسب والفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، وما كان الله ليجعل امرأة أحد من أنبيائه بغيًا. اهـ.

ومما يؤيد ذلك **قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧﴾ [الأنفال:٢٧] والدين يعتبر أمانة.

* **قال العثيمين** رحمه الله في تفسير **قوله تعالى**: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾ [الذاريات:٣٦]: لكنه كفر مستور، وهو خيانة من جنس النفاق؛ ولهذا يقال للمجتمع الذي فيه منافقون: إنه مجتمع مسلم وإن كان فيه المنافقون؛ لأن المظهر مظهر إسلام. اهـ[١].

☜ **فإن قيل فكيف يتزوج النبي بكافرة؟** فيقال: كان هذا سائغًا في ملتهم، كما كان سائغًا في أول ملتنا، فقد زوج النبي ﷺ ابنتيه بكافرين، وهما: أبو العاص بن الربيع، زوجه بزينب. ثم أسلم بعد ذلك، وعتبة بن أبي لهب زوجه برقية ثم فارقها، وتزوجها عثمان رضي الله عنه. وقيل: إنها أم كلثوم.

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله: وكانت خيانتهما لهما في الدين لا في الفراش، فإنه ما بغت امرأة نبي قط، إذ نكاح الكافرة يجوز في بعض الشرائع، ويجوز في شريعتنا نكاح بعض الأنواع وهن الكتابيات، وأما نكاح البغي فهو دياثة، وقد صان الله النبي عن أن يكون ديوثا. اهـ[٢].

---

(١) من «تفسير سورة الذاريات».

(٢) من «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٧٣).

* **قال الشنقيطي** رحمه الله: أجمع المفسرون على أن الخيانة ليست زوجية. وقال ابن عباس رضي الله عنه: نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة، ولكنها خيانة دينية بعدم إسلامهن، وإخبار قومهن بمن يؤمن مع أزواجهن. اهـ.

☜ **وقد رَمَتِ الرافضةُ أخزاهم الله نساء الأنبياء بالفاحشة:**

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: ثم منهم من يرميها -يعني عائشة رضي الله عنها- بالفاحشة التي برأها الله منها، وأنزل القرآن في ذلك، ثم إنهم لفرط جهلهم يدعون ذلك في غيرها من نساء الأنبياء، فيزعمون أن امرأة نوح كانت بغيًا، وأن الابن الذي دعاه نوح عليه السلام لم يكن منه، وإنما كان منها، وأن معنى **قوله تعالى**: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود:٤٦] أن هذا الولد من عمل غير صالح...

إلى أن قال رحمه الله: ومن المعلوم أنه من أعظم أنواع الأذى للإنسان أن يكذب على امرأته رجل ويقول إنها بغي، ويجعل الزوج زوج قحبة، فإن هذا من أعظم ما يشتم به الناس بعضهم بعضًا. اهـ[1].

☜ وقد يستأنس لقول ابن عباس رضي الله عنه: (نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة) بتحريم التزوج من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته، والتعليل بأن ذلك كان يؤذيه، كما في **قوله تعالى**: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ﴾ [الأحزاب:٥٣]، فإذا كان تساؤلهن بغير حجاب يؤذيه، والزواج بهن من بعده يؤذيه، فكيف إذا كان الاتهام لهن بفاحشة -والعياذ بالله- فهذا أعظم إيذاءً.

---

(١) من كتاب «منهاج السنة» (٤/ ٣٤٥).

المسألة الثالثة

قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] تشكك يونس عليه السلام في قدرة الله، وأن الله لا يقدر عليه، واستزله الشيطان، وهذا معنى باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* ذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره المعنى الباطل ورده وذكر المعنى الصحيح فقال رحمه الله: وقوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معناه: فظنَّ أن لن نعاقبه بالتضييق عليه، من قولهم قدرت على فلان: إذا ضيقت عليه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق:٧].

ثم ساق من قال بذلك من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم.

* ثم قال: وقال آخرون: بل معنى ذلك: فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه وساق ذلك عن الحسن وإياس بن معاوية المدني.

* ثم قال: وقال آخرون: بل ذلك بمعنى الاستفهام، وإنما تأويله: أفظنَّ أن لن نقدر عليه؟ وساق ذلك عن ابن زيد.

* قال رحمه الله: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عَنَى به: فظنّ يونس أن لن نحبسه ونضيق عليه، عقوبة له على مغاضبته ربه.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة، لأنه لا يجوز أن ينسب إلى الكفر، وقد اختاره لنبوته، ووصفه بأن ظنَّ أن ربه يعجز عما أراد به ولا يقدر عليه، ووصف له بأنه جهل قدرة الله، وذلك وصف له بالكفر، وغير جائز لأحد وصفه بذلك، وأما ما قاله ابن زيد، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة إلا وقد أبقت دليلًا على أنه مراد في الكلام، فإذا لم يكن في **قوله**: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] دلالة على أن المراد به الاستفهام كما قال ابن زيد، كان معلوما أنه ليس به، وإذا فسد هذان الوجهان، صح الثالث وهو ما قلنا. اهـ.

* **قال ابن كثير** رحمه الله: يونس بن متَّى عليه السلام بعثه الله إلى أهل قرية نينوى، وهي قرية من قرى الموصل، فدعاهم إلى الله فأبوا عليه، وتمادوا في كفرهم، فخرج من بين أظهرهم مغاضبًا لهم، ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث، فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أنه نبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم، وفرقوا بين الأمهات وأولادها، وثغت الغنم وحملانها، فرفع الله عنهم العذاب، **قال تعالى**: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس:٩٨].

ثم ذكر ابن كثير رحمه الله قصة يونس عليه السلام، ومسألة القرعة في البحر، ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الصافات:١٤١]، ثم قال: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أي نضيق عليه في بطن الحوت، يروى عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم،

واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق:٧]. اهـ.

* وأيضًا بمعناه **قوله تعالى**: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر:١٥-١٧].

* **ورد الشنقيطي** رحمه الله[١] على قول من قال: ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] من القدرة، **فقال:** وهو قول باطل بلا شك؛ لأن نبي الله يونس عليه السلام لا يشك في قدرة الله على كل شيء كما لا يخفى.

☜ **ورجح أن معنى الآية يحتمل معنيين صحيحين:**

١ – لن نقدر عليه: لن نضيق عليه في بطن الحوت.

٢ – لن نقدر عليه: لن نقضي عليه ذلك.

* **ثم ذكر** رحمه الله **الخلاف في قوله: ﴿مُغَٰضِبًا﴾ وأنها تحتمل معنيين:**

١ – مغاضبًا لقومه. (وابن كثير لم يذكر غيرها).

٢ – مغاضبًا لربه. (ذكرها بعض المفسرين).

* **قال الشنقيطي** رحمه الله: ولابد من حمل معناها على أنها مغاضبًا لأجل ربه، وذكر عن القرطبي، وقال هذا سائغ في اللغة العربية، وغير هذا لا يصح في الآية.

* **قال ابن حزم** رحمه الله[٢]: قالوا: ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل، ومن أكبر ذنبًا ممن ظن أن الله لا يقدر عليه، وقد أخبر الله تعالى أنه استحق الذم لولا أن

---

(١) في «أضواء البيان».

(٢) كما في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٣).

تداركه نعمة الله ﷻ، وأنه استحق الملامة، وأنه أقر على نفسه أنه كان من الظالمين، ونهى الله نبيه أن يكون مثله. **قال أبو محمد ابن حزم:** هذا كله لا حجة لهم فيه، بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله.

☜ أما إخبار الله أن يونس ذهب مغاضبًا فلم يغاضب ربه قط، ولا قال الله أنه غاضب ربه، فمن زاد هذه الزيادة كان قائلًا على الله الكذب، وزائدًا في القرآن ما ليس فيه، هذا لا يحل ولا يجوز أن يظن بمن له أدنى مسكة من عقل أنه يغاضب ربه، فكيف أن يفعل ذلك نبي من الأنبياء. فعلمنا يقينًا أنه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله ﷻ فعوقب بذلك، وإن كان يونس لم يقصد بذلك إلا رضا الله ﷻ.

وأما قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذي لا يجوز أن يظن بضعيفة من النساء أو بضعيف من الرجال إلا أن يكون قد بلغ الغاية من الجهل، فكيف بنبي مفضل على الناس في العلم.

إلى أن قال: وصح أن معنى **قوله:** ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء:٨٧] أي: لن نضيق عليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر:١٦]، أي: ضيق عليه، فظن يونس عليه السلام أن الله تعالى لا يضيق عليه في مغاضبته لقومه، إذ ظن أنه محسن في فعله ذلك.

وإنما نهي الله ﷻ لمحمد ﷺ أن يكون كصاحب الحوت فنعم، نهاه الله ﷻ عن مغاضبة قومه، وأمره بالصبر على أذاهم. اهـ.

وكذلك ذكر صاحب "كتاب تنزيه الأنبياء عما نسبه إليهم حثالة الأغبياء" وهو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي المعروف بـ(ابن خمير)، المتوفى (٦١٤ هـ).

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: مسألة: قال الله تعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾، فهل يجوز مثل هذا الظن من الرسل؟

والجواب: أن معنى نقدر أي نضيق كما **قال تعالى**: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق:٧]، فيونس عليه السلام ظن أنه بخروجه هذا أنه يجد سعة عما كان عليه في الأول فظن ذلك، ولكن الله تعالى أراه انه في قبضته ﷻ وضيق عليه أكثر من ذي قبل، في بطن الحوت: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤ * فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ١٤٥﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٥]. اهـ.

---

(١) في «شرح العقيدة السفارينية» (١/ ٥٧٤).

المسألة الرابعة

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى:٧].

× المعنى غير الصحيح: ربما توهم بعضهم أن معنى قوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أنه الضلال في الدين الذي بمعنى الغواية وهذا معنى باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* قال ابن الجوزي رحمه الله: فيها ستة أقوال:

١- ضالًا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك الله إليها. (قاله الجمهور).

٢- ضل وهو صغير في شعاب مكة فرده الله إلى جده عبد المطلب.

٣- لما خرج مع ميسرة -غلام خديجة- أخذ إبليس بزمام ناقته فعدل بها عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة إلى الحبشة، ورده إلى القافلة.

٤- ووجدك في قوم ضلال فهداك.

٥- ووجدك نسيا فهداك إلى الذكر، كقوله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ﴾ [البقرة:٢٨٢].

٦- وجدك خاملًا لا تُعرف فهدى الناس إليك فعرفوك. اهـ.

* وأما ابن كثير رحمه الله فقال: هذه كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]. ثم ذكر القول الثاني والثالث في كلام ابن الجوزي رحمه الله.

❋ **قال الشوكاني** رحمه الله[1]: والضلال هنا بمعنى الغفلة، كما في **قوله**: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه:٥٢]، وكما في **قوله**: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣]. وقيل: معنى ضالا: لم تكن تدري القرآن ولا الشرائع، فهداك الله لذلك. ثم ذكر أقوالًا أخرى.

❋ **قال السعدي** رحمه الله: **قوله تعالى**: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]: أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم، الذي فيه بيان كل شيء، وعلم الأولين والآخرين.

والحكمة: إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: أن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن. وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء منازلها، وترتيب كل شيء بحسبه.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى، فإنه ﷺ وصفه الله قبل النبوة **بقوله**: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢]، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى:٧]، ثم لم يزل يوحي إليه ويعلمه ويكمله، حتى ارتقى مقاما في العلم يتعذر وصوله على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال؛ **ولهذا قال**: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]. اهـ.

ومن ذلك قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف:٣].

---

(١) في «فتح القدير».

* قال الشنقيطي رحمه الله[1]: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف:٨] الظاهرُ أَنَّ مراد أولاد يعقوب بهذا الضلال الذي وصفوا به أباهم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام في هذه الآية الكريمة إنما هو الذهاب عن علم حقيقة الأمر كما ينبغي.

☜ ويدل لهذا ورود الضلال بهذا المعنى في القرآن وفي كلام العرب، فمنه بهذا المعنى قوله تعالى عنهم مخاطبين أباهم: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف:٩٥]، وقوله تعالى في نبينا ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضحى:٧] أي: لست عالمًا بهذه العلوم التي لا تعرف إلَّا بالوحي، فهداك إليها وعلمكها بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم.

وليس مراد أولاد يعقوب الضلال في الدين، إذ لو أرادوا ذلك لكانوا كفارًا، وإنَّما مرادهم أن أباهم -في زعمهم- في ذهاب عن إدراك الحقيقة، وإنزال الأمر منزلته اللائقة به، حيث آثر اثنين على عشرة، مع أن العشرة أكثر نفعًا له، وأقدر على القيام بشئونه وتدبير أموره.

واعلم أن الضلال أطلق في القرآن إطلاقين آخرين:

أحدهما الضلال في الدين، أي الذهاب عن طريق الحق التي جاءت بها الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، وهذا أشهر معانيه في القرآن؛ ومنه بهذا المعنى قوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الصافات:٧١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس:٦٢] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) في «أضواء البيان» سورة يوسف.

الثاني: إطلاق الضلال بمعنى الهلاك والغيبة، من قول العرب: ضل السمن في الطَّعام، إذا غاب فيه وهلك فيه، ولذلك تسمى العرب الدفن إضلالًا؛ لأنه تغييب في الأرض يؤول إلى استهلاك عظام الميت فيها؛ لأنها تصير رميمًا وتمتزج بالأرض. ومنه بهذا المعنى **قوله تعالى**: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة:١٠] الآية.

ومن إطلاق الضلال على الغيبة **قوله تعالى**: ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤﴾ [الأنعام:٢٤] أي غاب واضمحل.

ومن إطلاق الضلال على الدفن قول نابغة ذبيان:

فـــآب مضـــلوه بعـــين جليـــة وغـودر بـالجولان حـزم ونائـل

فقوله: مضلوه، يعني دافنيه. وقوله: بعين جلية، أي بخبر يقين، والجولان: جبل دفن عنده المذكور. اهـ.

المسألة الخامسة

قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام:٧٦].

× المعنى غير الصحيح: ربما توهم بعضهم أن قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ شك في ربوبية الله سبحانه وهذا معنى باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* قال ابن كثير رحمه الله: وقد اختلف المفسرون في هذا المقام، هل هو مقام نظر أو مناظرة؟ فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس ما يقتضي أنه مقام نظر، واختاره ابن جرير مستدلًا بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧].

وقال محمد بن إسحاق: قال ذلك حين خرج من السرب الذي ولدته فيه أمه، حين تخوفت عليه النمرود بن كنعان، لما أن قد أخبر بوجود مولود يكون ذهاب ملكك على يديه، فأمر بقتل الغلمان عامئذٍ، فلما حملت أم إبراهيم به وحان وضعها، ذهبت به إلى سرب ظاهر البلد، فولدت فيه إبراهيم وتركته هناك. وذكر أشياء من خوارق العادات، كما ذكرها غيره من المفسرين من السلف والخلف.

☜ والحقُّ أن إبراهيم عليه السلام، كان في هذا المقام مناظرًا لقومه، مبينًا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية، ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته، ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك

مما يحتاجون إليه. وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة المتحيرة. اهـ.

☜ **ومن الأدلة على أن إبراهيم لم يكن ناضرًا في هذا المقام:**

١- **قوله تعالى:** ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

٢- **قوله تعالى:** ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ [النحل:١٢٠] أي: لم يكن من المشركين يومًا من الأيام.

٣- **قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل:١٢٣].

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**». متفق عليه[(١)].

٥- عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى: «**إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**». رواه مسلم (٢٨٦٥). فإذا كان هذا في حق سائر الخليقة فكيف لا يكون في حق إبراهيم الذي جعله الله أمة قانتًا.

٦- **قوله تعالى:** ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ الآية [سورة الأنعام:٨٠].

☜ وفي هذه القصة التي ذكرها ابن جرير ﷺ عن ابن عباس ﷺ، ورجحها، فيها من الغرائب والعجائب الكثيرة، من ذلك: أنه كان يكبُر في اليوم كشهر وفي

---

(١) رواه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

الشهر كسنة، وأن أمه تركته في الغار لوحده من يوم ولادته ولم يعلم بذلك، وغير ذلك من الأشياء التي تحتاج إلى خبر عن المعصوم ﷺ.

* **قال ابن حزم** رحمه الله[1] معلقًا على هذه القصة:

وهذه خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التميز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمسًا ولا قمرًا ولا كوكبًا وقد أكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١].

إلى أن قال: ومعاذ الله أن يكون الخليل عليه السلام أشرك قط بربه أو شك في أن الفلك بكل ما فيه مخلوق. وبرهان قولنا هذا إن الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك، بل صدقه تعالى **بقوله**: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٨٣].

* **وقد رد شيخ الإسلام** رحمه الله **هذه الفرية من وجه آخر، فقال**[2]: والمقصود هنا أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلها آخر مساويًا له في الصفات والأفعال، بل ولا كانوا يقولون: إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم، ولا أن الأصنام تخلق شيئا من العالم، ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين، أو أن الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي أراد به رب العالمين فقد غلط غلطًا بينا، بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع، وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين. إلخ كلامه رحمه الله.

---

(١) في «الفصل» (٤/ ٦).

(٢) كما في كتاب «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (١/ ٣٥٤).

* قال السعدي رحمه الله: **قوله**: ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام:٧٦]. أي: على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهلم ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة ولا برهان. إلخ كلامه رحمه الله.

* **وقال** رحمه الله[1]: والمناظرة تخالف غيرها في أمور كثيرة منها: أن المناظر يقول الشيء الذي لا يعتقده ليبني عليه حجته، وليقيم الحجة على خصمه، كما قال في تكسيره الأصنام لما قالوا له: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا﴾ [الأنبياء:٦٢]، فأشار إلى الصنم الذي لم يكسره فقال: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء:٦٣] ومعلوم أن غرضه إلزامهم بالحجة، وقد حصلت. فهنا يسهل علينا فهم معنى **قوله**: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي: إن كان يستحق الإلهية بعد النظر في حالته ووصفه فهو ربي، مع أنه يعلم العلم اليقيني أنه لا يستحق من الربوبية والإلهية مثقال ذرة، ولكن أراد أن يلزمهم بالحجة. اهـ.

فائدة: جاء في صحيح مسلم في بعض الروايات: عدُّ إبراهيم عليه السلام قولَه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ من الكذبات التي كذبها وهي المعاريض.

* **ولكن قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله[2]: الذي يظهر أنها وهم من بعض الرواة فإنه ذكر قوله: (في الكوكب) بدل قوله: (في سارة) والذي اتفقت عليه الطرق ذكر سارة دون الكوكب، وكأنه لم يعد مع أنه أدخل من ذكر سارة لما نقل: أنه قاله في

---

(١) في «تيسير اللطيف المنان».

(٢) في «الفتح» (٦/ ٣٩١).

حال الطفولية فلم يعدها؛ لأن حال الطفولية ليست بحال تكليف وهذه طريقة بن إسحاق.

وقيل: إنما قال ذلك بعد البلوغ لكنه قاله على طريق الاستفهام الذي يقصد به التوبيخ.

وقيل: قاله على طريق الاحتجاج على قومه، تنبيهًا على أن الذي يتغير لا يصلح للربوبية، وهذا قول الأكثر إنه قاله توبيخًا لقومه أو تهكما بهم، وهو المعتمد؛ ولهذا لم يَعُدَّ ذلك في الكذبات. اهـ.

المسألة السادسة

قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من هذه الآية ونظائرها أنه يجوز للإنسان أن يعتقد الاعتقاد الذي يريد، ويدين بالدين الذي يريد ولو كان غير دين الإسلام، وهذا الفهم باطل ومنكر.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال ابن كثير** رحمه الله: لا إكراه في الدين أي لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته، دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا مقسورًا.

إلى أن قال رحمه الله: وقد ذهب طائفة كثيرة من العلماء، أن هذه محمولة على أهل الكتاب، ومن دخل في دينهم قبل النسخ والتبديل إذا بذلوا الجزية، وقال آخرون: بل هي منسوخة بآية القتال، وأنه يجب أن يدعى جميع الأمم إلى الدخول في الدين الحنيف، دين الإسلام، فإن أبى أحد منهم الدخول فيه، ولم ينقد له أو يبذل الجزية، قوتل حتى يقتل، وهذا معنى الإكراه، **قال الله تعالى**: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ [الفتح:١٦]، **وقال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة:٧٣]، **وقال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣﴾ [التوبة:١٢٣].

وفي الصحيح[١]: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**». يعني الأسارى الذين يقدم بهم بلاد الإسلام في الوثائق والأغلال والقيود والأكبال، ثم بعد ذلك يسلمون، وتصلح أعمالهم وسرائرهم فيكونون من أهل الجنة.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد[٢] فقال: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «**أَسْلِمْ**» قَالَ: إِنِّي أَجِدُنِي كَارِهًا، قَالَ: «**وَإِنْ كُنْتَ كَارِهًا**». فإنه ثلاثي صحيح، ولكن ليس من هذا القبيل، فإنه لم يكرهه النبي ﷺ على الإسلام، بل دعاه إليه، فأخبره أن نفسه ليست قابلة له، بل هي كارهة، فقال له: أسلم وإن كنت كارهًا، فإن الله سيرزقك حسن النية والإخلاص. اهـ.

☜ فعلى هذا تكون هذه الآية خاصة بمن تؤخذ منهم الجزية إذا بذلوا الجزية، فلا يكرهوا على الإسلام، ويدل على ذلك حديث بريدة ﷺ[٣]: «**ادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ**»، ومنها: «**فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ...**» الحديث.

☜ **ثم اختلف العلماء في منهم الذين تؤخذ منهم الجزية؟**

- فالجمهور على أنها تؤخذ من اليهود والنصارى والمجوس، وهو قول أحمد والشافعي. وأما غيرهم فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٠).

(٢) في "المسند" برقم (١١).

(٣) في "مسلم" (١٧٣١).

- وذهب جمع من أهل العلم، وهو قول مالك، ورجحه ابن القيم والشوكاني والصنعاني والعثيمين: أنها تؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد، ولابن القيم رحمه الله كلام طويل في ذلك في كتابه "أحكام أهل الذمة".

☜ وقد استدل أقوام بهذه الآية ونظائرها على مذهب هدام وباطل: **وهو ما يسمونه بحرية الفكر والاعتقاد** ويجعلون لكل إنسان الحرية في اعتقاد ما يريد من الأديان والاعتقادات ولو كانت كفرًا، ولهم في ذلك شبهات ذكرتُها والردَّ عليها في كتابي "الفائدة في دفع أهم الشبه السائدة لأهل العقائد الفاسدة" ونذكر ملخصها هنا:

أولًا: ذكر اعتقاد أهل السنة في هذا الباب

نعتقد:

أن الله خلق العباد، وأمدهم بالنعم، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وأمرهم سبحانه بالإسلام له، بمعنى أن يستسلموا له بالتوحيد، وينقادوا له بالطاعة، ودين الإسلام كامل، فجميع ما ينبغي على المسلم اعتقاده قد بينه الله وبينه رسوله ﷺ، وحياة المسلم لابد أن تكون كلها لله ﷻ، ومستمدة من شرع الله سبحانه، ولا يجوز للإنسان اعتقاد ما يريد، بل عليه أن يعتقد ما يريده الله منه.

الأدلة على ذلك:

١- **قال تعالى**: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

٢- **قال تعالى**: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢].

٣- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

٤- قال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

٥- قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥].

الرد الإجمالي على أصحاب مسألة حرية الرأي والفكر والاعتقاد:

١- الدعوة إلى حرية الرأي والفكر والاعتقاد دعوة إلى الكفر بالله؛ لأن معتنقها سيختار الإله والمعبود الذي يريد، والدين الذي يريد؛ لأنه حرٌّ على زعمه. وهذا شيء لا يُخْتَلَفُ فيه: أن من عبد غير الله فإنه مشرك كافر، وأن من اعتنق غير الإسلام فإنه مشرك كافر.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢﴾ [الحج:٦٢].

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾ [آل عمران:٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام:١٦٤].

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».

٢- أصبحت هذه الدعوة ستارًا لمن أراد الطعن في النبي ﷺ، أو في دين الإسلام، أو سب الله ورسوله ودينه، بحجة أن هذه حريات شخصية، وأن له حرية الرأي.

حتى أصبحت هذه الدعوة هي عكاز الزنادقة الذين تختلف طلعاتهم وكلماتهم في كل عصر، ولكن يجمعهم الكفر بالله، والطعن في دينه ونبيه محمد ﷺ، تحت مظلة الحريات الشخصية، والرأي والرأي الآخر، وحرية المعتقد.

٣- أصبحت ستارًا للدعوات الهدامة للدين من العلمانية والإلحادية وغيرها.

٤- أصبحت ستارًا لكل من أراد نشر الفاحشة والرذيلة على شتى أنواعها؛ بحجة الحريات الشخصية، والله المستعان.

٥- الاعتقادات والأديان ليست أفكارًا، ولكنها وحيٌ من الله ﷻ ينزله على رسله، ليسير عباده عليه.

٦- من قال: (إنه حرٌّ) وأراد أنه حر من رق العبودية لله ﷻ فقد أساء في فهم العبودية، ولم يعرف معنى الحرية، فإن العبودية لغير الله هي الرق، أما عبودية المرء لربه فهي الحرية، وليس الإنسان بحرٍّ في معصية الله، بل إذا عصيت الله تعالى فإنك خرجت من الرق الذي تدعيه في عبودية الله إلى رق الشيطان والهوى.

٧- لو قال إنسان من الذين يدعون الحرية في كل شيء: أنا حر في عدم تسديد الديون التي عندي للناس، وأنا حرٌّ في مخالفة أنظمة هذه الدولة؛ من المرور والطرق والمعاملات، لما رضي الناس منه بذلك، ولا رضيت الدول منه بذلك،

بل سيقولون له لابد أن تتقيد بأنظمة البلد وقوانينها، وإلا عرضت نفسك للعقوبة، فسبحان الله!! إذا كان هذا في أمور الدنيا لا تنتظم أموره إلا بالتقيد بالأنظمة، فكيف بأمور الدين والآخرة، التي هي مدار السعادة في الدنيا والآخرة لابد أن تكون منضبطة على ما أراد الله ورسوله.

شبهتهم الأولى:

قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

والرد عليهم:

أن معنى الآية: لا تكرهوا على الدين الإسلامي من لم يرد الدخول فيه، فإنه قد تبين الرشد وهو دين محمد ﷺ وأصحابه وأتباعهم بإحسان، هو توحيد الله بعبادته وطاعته، وترك نواهيه، وكان هذا قبل أن يشرع الله سبحانه الجهاد بالسيف لجميع المشركين، إلا من بذل الجزية من أهل الكتاب والمجوس.

قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة:٧٣].

وقال تعالى: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ [الفتح:١٦].

☜ فيكون معنى الآية: لا تكرهوا من دفع الجزية من أهل الكتاب والمجوس على الإسلام إذا دفعها وهو صاغر، وأما غيرهم من الكفار فالواجب إكراههم على الإسلام حتى يدخلوا فيه؛ للآيات الأخرى الناسخة لذلك الحكم.

- وقال بعض أهل العلم بجواز أخذ الجزية من جميع الكفار إلا المرتد، فيكون معنى الآية: لا تكرهوا من دفع الجزية وهو صاغر على الدخول في الإسلام، فإن الدين الإسلامي واضح، جلية دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من شرح الله صدره هداه للإسلام، ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهًا.

الشبهة الثانية:

قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦].

والرد عليهم:

هذه السورة هي سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون، وهي آمرة بالإخلاص في الدين. وليس في هذا تقرير لهم على دينهم الذي هم عليه، ولكنها من قِبَل التهديد والوعيد، **كقوله تعالى**: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]، **وقوله تعالى**: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:٤٠].

☜ وصفُ اللهِ لدينهم أنه كفر في أول السورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] وصفٌ كافٍ بأن دينهم غير مقبول؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران:٨٥]، ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**».

فخلاصة الكلام أن هذه الآية فيها التبرئة من دين الكفار، ويشابهها قوله تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس:٤١].

قال البخاري رحمه الله: لكم دينكم يعني الكفر، ولي دين الإسلام.

* **قال ابن كثير** رحمه الله: وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة لكم دينكم ولي دين على أن الكفر ملة واحدة، فيرث اليهود من النصارى وبالعكس إذ كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان. وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود، وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَوَارَثُ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ شَتَّى**»(١).

* **قال الشنقيطي** رحمه الله(٢): وليس في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦]، تقريرهم على دينهم الذي هم عليه، ولكن من قبيل التهديد والوعيد كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

وفي هذه السورة وصف كاف بأن دينهم ذلك كفر وهو **قوله** في أول السورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون:١] **والله سبحانه يقول**: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥]، **ويقول**: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

ويقول النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**». متفق عليه عن أبي هريرة(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٢٩١١).

(٢) في «أضواء البيان».

(٣) رواه البخاري (٣٠٦٢)، ومسلم (١١١).

❋ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[1]: وهو يشرح عن أحد وزراء التتار، الملقب بالرشيد، وتمكينه لأعداء الإسلام من المسلمين، وتقريب الزنادقة من القضاء، بل إنه صنف كتابا مضمونه أن النبي ﷺ رضي بدين اليهود والنصارى، وأنه لا ينكر عليهم، ولا يذمون ولا ينهون عن دينهم، ولا يؤمرون بالانتقال إلى الإسلام، واستدل الخبيث الجاهل بقوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:١-٦]، وزعم أن هذه الآية تقتضي أنه يرضى دينهم، وقال هذه الآية محكمة وليست منسوخة، وجرت بسبب ذلك أمور.

- ومن المعلوم أن هذا جهل منه فإن قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون:٦] ليس فيه ما يقتضي أن يكون دين الكفار حقا ولا مرضيا له، وإنما يدل على تبرئة من دينهم ولهذا قال الرسول ﷺ في هذه السورة إنها براءة من الشرك كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١﴾ [يونس:٤١]. اهـ.

☜ **فالخلاصة:** الدين هو ما يدين به الإنسان سواء كان دينهم حقا أم باطلا، وقد قيد الله الدين بقوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [التوبة:٢٩] وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة:٣٣] فهناك دين باطل كما ذكره الله تعالى عن آلهة باطلة وأن الله هو الإله الحق سبحانه.

---

(١) كما في «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٥٤٥).

الشبهة الثالثة:

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ١٥﴾ [الزمر:١٤-١٥].

والرد عليهم:

أن هذا على سبيل التهديد والتقريع والتوبيخ، فيكون المعنى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد لمشركي قومك: ﴿ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ مفردًا له طاعتي وعبادتي، لا أجعل له في ذلك شريكًا، ولكني أفرده بالألوهية، وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة، ﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأوثان والأصنام وغير ذلك، فستعلمون وبال ذلك وعاقبته إذا لقيتم ربكم.

الشبهة الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾ [يونس:٩٩]. قالوا ففي الآية نهي عن إكراه الناس على الإيمان.

الرد عليهم:

معنى الآية: **قال السعدي** رحمه الله: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾ بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين. ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لا تقدر على ذلك، وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك.

* **وقال الشنقيطي** رحمه الله[1]: بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن من لم يهده الله فلا هادي له، ولا يمكن أحدًا أن يقهر قلبه على الانشراح إلى الإيمان إلا إذا أراد الله به ذلك، وأوضح ذلك المعنى في آيات كثيرة، **كقوله**: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [المائدة:٤١] **وقوله**: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧] الآية. **وقوله**: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٧﴾ [النحل:٣٧] الآية. **وقوله**: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦] الآية. **وقوله**: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾ [الأعراف:١٨٦] والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًا، كما تقدم في النساء. والظاهر أنها غير منسوخة، وأن معناها أنه لا يهدي القلوب ويوجهها إلى الخير إلا الله تعالى، وأظهر دليل على ذلك أن الله أتبعه **بقوله**: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٠٠] الآية.

الشبهة الخامسة:

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨﴾ [الأنعام:١٠٨]، قالوا فقد نهينا عن سب المشركين، وهذا يدل على أنهم ليسوا على باطل.

والرد عليهم:

- أن هذا السب إنما حُرِّمَ إذا أدَّى إلى مفسدة أعظم، ألا وهي سب الله ورسوله ودينه، فإذا كان سب المشركين وآلهتهم سيؤدي بهؤلاء المشركين إلى سب الله ورسوله فيُتْرَك درءًا للمفسدة.

---

(١) في "أضواء البيان" عند هذه الآية.

- أما إذا لم تتوقع تلك المفسدة فإن سب الشرك وأهله أمر مقصود في الشريعة، **قال تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة:٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾ [محمد:١٢].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٤﴾ [الفرقان:٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١١٦].

المسألة السابعة

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء:١٧].

× المعنى غير الصحيح: ربما توهم بعضهم أن الذي يعمل المعاصي متعمدًا أو لا يتوب بعد ارتكاب الذنب مباشرة أنه لا توبة له، وهذا معنى باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* قال ابن كثير رحمه الله: إنما يتقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة، ثم يتوب ولو قبل معاينة الملك روحه قبل الغرغرة. قال مجاهد وغير واحد: كل من عصى الله خطًا أو عمدًا، فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب.

وقال قتادة: عن أبي العالية: أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة، رواه ابن جرير.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر، عن قتادة، قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصي الله به فهو جهالة، عمدًا كان أو غيره.

وقال ابن جريج: أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد، قال: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها. قال ابن جريج: وقال لي عطاء بن أبي رباح، نحوه.

وقال أبو صالح عن ابن عباس: من جهالته عمل السوء.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ثم يتوبون من قريب قال: ما بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت.

وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب. وقال قتادة والسدي: ما دام في صحته، وهو مروي عن ابن عباس. وقال الحسن البصري ثم يتوبون من قريب، ما لم يغرغر. وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب.

* **ثم ذكر ابن كثير رحمه الله أحاديث على هذا المعنى، ثم قال:** فقد دلت هذه الأحاديث على أن من تاب إلى الله عز وجل وهو يرجو الحياة، فإن توبته مقبولة؛ ولهذا **قال تعالى:** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧]، وأما متى وقع اليأس من الحياة، وعاين الملك، وحشرجت الروح في الحلق وضاق بها الصدر، وبلغت الحلقوم، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم، فلا توبة مقبولة حينئذ، ولات حين مناص، ولهذا قال وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن. اهـ.

* **قال السعدي رحمه الله: قوله:** ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تئول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها. اهـ.

* **ورد هذا القول ابن جرير رحمه الله وقال:** وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه: أنهم جهلوا كُنْه ما فيه من العقاب، فلم يعلموه كعلم العالم، وإن علموه ذنبًا، ولو كان الأمر على ما قال صاحب هذا القول، لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كُنْه ما فيه. وذلك أنه جل ثناؤه **قال:** ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء:١٧] دون غيرهم.

فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوءًا على علم منه بكنه ما فيه، ثم تاب من قريب توبة، وذلك خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ.

* **وقد ذكر ابن جرير** رحمه الله الأقوال في معنى الجهالة، ورجح أن عمل السوء والمعصية نفسها هي الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للجهل أو جاهلين.

وذكر قول ابن زيد: الجهالة: كل امرئ عمل شيئًا من معاصي الله فهو جاهل أبدًا حتى ينزع عنها وقرأ **قوله تعالى**: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف:٨٩]، وقرأ: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣]. اهـ.

* **قال العثيمين** رحمه الله[1]: فالضلالة: ارتكاب الخطأ. والجهالة: ارتكاب الخطأ عن عمد؛ ولهذا نقول: من عمل سوءًا بجهالة فهو آثم، ومن عمل سوءًا بجهل فليس بآثم، **قال تعالى**: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النساء:١٧] الآية، والمراد بالجهالة هنا ليست ضد العلم، بل ضد الرشد، وهي السفه. اهـ.

---

(١) في «القول المفيد» [باب: ما جاء في السحر].

المسألة الثامنة

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من هذه الآية ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا معنى غير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* قال شيخ الإسلام رحمه الله[١]: قوله تعالى: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥] لا يقتضي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نهيًا ولا إذنًا، كما في الحديث المشهور في السنن عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب على منبر رسول الله ﷺ فقال: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْه**»[٢].

وكذلك في حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه مرفوعا في تأويلها: «**إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَانِ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ خُوَيْصَّةَ نَفْسِكَ**».

---

(١) كما في "مجموع الفتاوى" (١٤/ ٤٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٢١٦٨)، وأبو داود (٤٣٣٨).

وهذا يفسره حديث أبي سعيد رضي الله عنه [١]: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» فإذا قوي أهل الفجور حتى لا يبقى لهم إصغاء إلى البر؛ بل يؤذون الناهي لغلبة الشح والهوى والعجب سقط التغيير باللسان في هذه الحال وبقي بالقلب...

إلى أن قال: وما ذكره الصديق ظاهر؛ **فإن الله قال:** ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] أي الزموها وأقبلوا عليها ومن مصالح النفس فعل ما أمرت به من الأمر والنهي. **وقال:** ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] وإنما يتم الاهتداء إذا أطيع الله وأدي الواجب من الأمر والنهي وغيرهما. اهـ.

☜ فتبين أنه لا يتم هدى العبد إلا بالإتيان بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك بدرجات الإنكار المعروفة، إما باليد أو باللسان أو بالقلب.

ومما يدل على أن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مهتدٍ **قوله تعالى:** ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر:١-٣]. فحكم على الذين لا يتواصى بالحق والصبر بالخسارة وهي ضد الاهتداء.

❋ **قال النووي** رحمه الله [٢]: وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضا من النصيحة التي هي الدين. ولم يخالف في ذلك إلا بعض الرافضة، ولا يعتد بخلافهم، كما قال الإمام أبو

---

(١) في "مسلم" (٤٩).

(٢) "شرح مسلم" (٢/ ٢٢).

المعالي إمام الحرمين: لا يكترث بخلافهم في هذا، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء. ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافًا للمعتزلة.

وأما **قول الله** ﷻ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] فليس مخالفًا لما ذكرناه؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل **قوله تعالى**: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] وإذا كان كذلك فمما كلف به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله ولم يمتثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل، لكونه أدى ما عليه، فإنما عليه الأمر والنهي لا القبول والله أعلم. اهـ.

* **وقال العلامة العثيمين**[1]: **قوله**: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] لأن النَّاس قد يقولون: إذا كان هناك فسقة أو كفار فإننا نخشى على أنفسنا من هذا، فَبَيَّنَ الله ﷻ أن ذلك لا يضرنا إذا أصلحنا أنفسنا، وهذا كما جاء في الحديث: «**إذا رأيت شحًّا مطاعًا وهوىً متبعًا ودنيا مؤثرة وأعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك أمر العوام**».

وقوله: ﴿إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ يعني إذا استقمتم على صراط الله، ومن الهداية أن يأمر الإنسان بالمعروف وينهى عن المنكر بقدر الاستطاعة، فليس في الآية ما يدل على إسقاط أو على سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن من أعظم الهداية وأتم الهداية أن يأمر الإنسان بالمعروف وينهى عن المنكر. اهـ.

---

(١) في «تفسير سورة المائدة» (٢/ ٤٥٩).

* **وقال** رحمه الله[1]: **قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة:١٠٥]، بعض النَّاس يفهم من هَذِهِ الآية أن الْإِنْسَان إذا أصلحَ نفسه لَيْسَ عليه من إصلاحِ غيرِه، لكِن نَقُول: إن إصلاح غيرك لا يتمَ إِلَّا بإصلاحِ نفسِكَ، فأنت مأمورٌ بالأَمْرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، لكِن إذا ضلوا فإن ضلالهم لا يضرُّك بَعْد أن تقومَ بما يَجِب عليك من الدَّعْوَةِ والأَمْرِ. اهـ.

(١) في «تفسير سورة النمل» ص (٥٣١).

المسألة التاسعة

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤﴾ [التوبة:٣٤].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم تحريم اكتناز الذهب والفضة وادخارهما على الإطلاق وهذا غير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* قال ابن كثير رحمه الله عند الآية: وأما الكنز فقال مالك، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أنه قال: هو المال الذي لا تؤدى منه الزكاة.

وروى الثوري وغيره عن عبيد الله عن نافع، عن ابن عمر قال: ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز. وقد روي هذا عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة موقوفا ومرفوعا وعمر بن الخطاب، نحوه، رضي الله عنهم: أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونا في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وإن كان على وجه الأرض. اهـ.

* وقد بوب الإمام الوادعي رحمه الله باب: [اقتناء المال][1] وذكر فيه حديث عمر رضي الله عنه المرفوع فقال: قال أبو داود رحمه الله (ج ٥ ص ٨١): حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن يعلى المحاربي، حدثنا أبي، حدثنا غيلان، عن جعفر بن إياس، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ

(١) في «الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين» (٤/ ٤٦٨).

ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة:٣٤] قال: كبُر ذلك على المسلمين، فقال عمر ﷺ: أنا أفرج عنكم، فانطلق فقال: يا نبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم، وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم**» فكبر عمر، ثم قال له: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**». قال الإمام الوادعي: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. اهـ.

❋ **قال النووي** رحمه الله[1]: قال القاضي واختلف السلف في المراد بالكنز المذكور في القرآن والحديث فقال أكثرهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد فأما مال أخرجت زكاته فليس بكنز. اهـ.

❋ **قال الشيخ العثيمين** رحمه الله[2]: ومعنى يكنزونها أي: لا يؤدون زكاتها، كما فسرها بذلك أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم لأن ما لا يؤدى زكاته فهو كنز، ولو كان على رؤوس الجبال، وما تؤدى زكاته فليس بكنز ولو كان في باطن الأرض فالكنز ما لا تؤدى زكاته. اهـ.

---

(١) كما في «شرح مسلم» (٧/ ٦٨).

(٢) كما في «شرح رياض الصالحين» (٥/ ٢٥٧).

المسألة العاشرة

✍ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم أن الشرك لا يغفره الله حتى لو تاب صاحبه وهذا المعنى باطل وغير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

❊ **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[1]: وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وهذه الآية في حق من لم يتب؛ ولهذا خصص الشرك وقيد ما سواه بالمشيئة، فأخبر أنه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه، وما دونه يغفره لمن يشاء.

وأما **قوله**: ﴿❊ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر:٥٣] فتلك في حق التائبين؛ ولهذا عم وأطلق. اهـ.

فتبين أن **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك يعني إذا مات غير تائب منه **لقوله**: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٥٠).

❋ **وقد استدل شيخ الإسلام** رحمه الله[١] بهذه الآية على حديث: «**سب أصحابي ذنب لا يغفر**»، وأنه كذب على رسول الله ﷺ، وأنه لم يروه أحد من أهل العلم، ولا هو في كتب المسلمين المعتمدة، وبين أن الشرك الذي لا يغفر هو في حق من لم يتب، وأما من تاب فيغفر باتفاق المسلمين، وليس سب الصحابي بأعظم من سب الأنبياء أو سب الله تعالى، فإن من سب الله تعالى حال كفره أو سب النبي ﷺ ثم تاب قبل الله منه، وقد كان طائفة يسبون النبي ﷺ من أهل الحرب ثم أسلموا وحسن إسلامهم وقبل النبي ﷺ منهم. اهـ.

وجاء عن عُبَادَةَ بْن الصَّامِتِ رضي الله عنه، وَكَانَ شَهِدَ بَدْرًا، وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ، وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ**». فَبَايَعْنَاهُ على ذلك. رواه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩).

❋ **ذكر الشيخ الألباني** رحمه الله هذا الحديث[٢] ثم **قال:** وفي الحديث رد كما قال العلماء على الخوارج الذين يكفرون بالذنوب، وعلى المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة، ولم يقل لابد أن يعذبه.

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٩٠).

(٢) في «السلسلة الصحيحة» (٢٩٩٩).

قلت -الألباني-: ومثله **قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. فقد فرق تعالى بين الشرك وبين غيره من الذنوب، فأخبر أن الشرك لا يغفره، وأن غيره تحت مشيئته، فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له، ولابد من حمل الآية والحديث على من لم يتب، وإلا فالتائب من الشرك مغفور له، فغيره أولى، والآية قد فرقت بينهما. اهـ.

❊ **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: وهذه الآية أجمع العلماء رحمهم الله على أنها في التائبين؛ لأن الله تعالى **قال**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] ولم يُقيِّد فهي في التائبين؛ أمَّا غير التائبين فقد **قال الله تعالى فيهم**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، فغَيْر التائبين نَجزِم بأن الله تعالى لا يَغفِر الشِّرْك في حَقِّهم، وما دون الشِّرْك تحت المَشيئة إن شاء عَذَّب وإن شاء غفَرَ.

☜ **فلِلإِنْسان حالان:**

الحالُ الأُولى: التَّوْبة، فحُكْم ذَنْبه حينئذٍ الغُفران مهما عظُم الذَّنْب.

الحالُ الثانية: عدَم التَّوْبة، يَعنِي: بدون التَّوْبة نَقول: الشِّرْك لا يُغفَر قَطْعًا، وما دون الشِّرْك تحت المَشيئة. اهـ.

---

(١) "تفسير سورة الزمر" ص (٣٧٠) عند قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [سورة الزمر:٥٣].

المسألة الحادية عشرة

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ:٢١].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من **قوله تعالى**: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ في هاتين الآيتين ونظائرهما أن الله تعالى باختبار الناس يستفيد علمًا لم يكن يعلمه من قبل، وهذا المعنى منكر وباطل.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال الشنقيطي** رحمه الله[1]: بل هو تعالى عالم بكل ما سيكون قبل أن يكون، وقد بين أنه لا يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه **بقوله جل وعلا**: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران:١٥٤] **فقوله**: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بعد **قوله**: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ﴾ دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به، ﷻ عن ذلك علوا كبيرا؛ لأن العليم بذات الصدور، غني عن الاختبار.

وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه، ومعنى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ أي: علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب، فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس. أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى. اهـ.

---

(١) في «أضواء البيان» عند الآية.

* **قال ابن كثير** رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٢-٣] استفهام إنكار، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان، كما جاء في الحديث الصحيح: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ**». وهذه الآية **كقوله**: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران:١٤٢]، ومثلها في سورة براءة، **وقال** في البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ۝٢١٤﴾ [البقرة:٢١٤]؛ ولهذا **قال هاهنا**: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت:٣] أي: الذين صدقوا في دعواهم الإيمان ممن هو كاذب في قوله ودعواه.

والله سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهذا مجمع عليه عند أئمة السنة والجماعة؛ ولهذا يقول ابن عباس وغيره في مثل: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا لنرى؛ وذلك أن الرؤية إنما تتعلق بالموجود، والعلم أعم من الرؤية، فإنه يتعلق بالمعدوم والموجود. اهـ.

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: **قوله تعالى**: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ [البقرة:١٤٣] وهي استقبال بيت المقدس ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ

(١) في «تفسير الفاتحة والبقرة» (٢/ ١١٠).

﴿عَقِبَيۡهِ﴾ المراد علم ظهور، أو علم يترتب عليه الجزاء؛ لأن علم الله الكائن في الأزل لا يترتب عليه الجزاء حتى يُمتحن العبد، ويُنظر؛ أو علم ظهور -أي علم بأن الشيء حصل، فيعلمه أنه حاصل؛ وأما العلم به قبل وقوعه فهو علم بأنه سيحصل؛ وفرق بين العلم بالشيء أنه سيحصل، والعلم بأنه قد حصل؛ وقد قال بعض أهل المعاني: إن ﴿لِنَعۡلَمَ﴾ هنا بمعنى الماضي- أي إلا لعلمنا؛ والمعنى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لعلمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه؛ وهذا ـ وإن كان له وجه من حيث اللفظ؛ وهو أن يعبر بالمضارع عن الماضي أحيانًا ـ لكنه ضعيف هنا من حيث المعنى؛ إذ لا حكمة من ذلك.

لأنه يكون معنى الآية: وما جعلنا هذا إلا لأننا قد علمنا من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه؛ وحينئذ يقال: إذًا ما الفائدة؟! لأنه لا يناسب أن الله ما جعل هذه القبلة إلا لأنه قد علم من يبقى على دينه، ومن لا يبقى؛ فالصواب الوجهان الأولان؛ وأحسنهما أن يكون المراد بالعلم هنا الذي يترتب عليه الجزاء؛ لأنه الواضح وليس فيه تكلف. اهـ.

*** وقال** رحمه الله[1]: **تعلق علم الله تعالى بالشيء له حالان:**

الحال الأولى: قبل وجوده.

الحال الثانية: بعد وجوده.

فتعلق علم الله تعالى به بعد الوجود يسمى علم ظهور؛ أي: علمه بعد أن ظهر وبان، وعلم الله تعالى قبل وجوده علم تقدير؛ أي: أنه قدر أن يكون وعلم التقدير ثابت بلا شك فإن الله تعالى لم يزل ولا يزال عالما بكل ما يكون.

---

(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ﴾ [سورة سبأ:٢١].

وإذا قلنا: إن العلم علم تقدير وعلم ظهور. زال الإشكال؛ وصار علم الله تعالى للشيء بعد وقوعه علما بأنه ظهر ووقع، وعلم الله تعالى قبل وقوعه علما بأنه سيقع، وفرق بين المتعلقين.

وقيل: إن المراد بالعلم هنا العلم الذي يترتب عليه الجزاء؛ وذلك لا يكون إلا بعد الامتحان، فإن علم الله تعالى بالشيء قبل أن يقع علم لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب؛ لأن المكلف لم يؤمر ولم ينه، فإذا أُمِرَ ففعل أو أُمِرَ فلم يفعل حينئذ صار مثابًا أو معاقبًا، كما **قال** ﷻ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد:٣١]، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران:١٤٢].

وعلى هذا الوجه يكون علم الله تعالى علمين:

١ – **علم معناه:** أن الله تعالى عالم بأن هذا الشيء سيقع، ولكن لا يترتب عليه الثواب والعقاب

٢ – **علم يترتب عليه الثواب والعقاب**، وذلك لا يكون إلا بعد امتحان المكلف به. وهل يفعل أو لا يفعل؛ يعني هل يمتثل أو لا يمتثل، فتبين أن الجواب عن هذه المسألة التي ظاهرها تجدد علم الله تعالى: أن العلم الذي يتبين به الخفي؛ لأن الأمر لم يزل ولا يزال أمام الله تعالى واضحًا ظاهرًا، **قال تعالى**: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ:٢١] هنا ضُمِّنت (نَعلَم) معنى (نُميِّز)؛ ولهذا **قال تعالى**: ﴿ممن هو﴾ يعني: إلا لنميز من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك. اهـ.

المسألة الثانية عشرة

قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك:١٦] الآية.

× المعنى غير الصحيح: قد يتوهم بعضهم من **قوله**: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أن السماء أكبر منه تعالى، وأنه داخلها، وأنها تحيط به تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال العثيمين** رحمه الله[1]: كون الله في السماء لا يقتضي أن السماء تحيط به، ومن قال ذلك فهو ضال إن قاله من عنده وكاذب أو مخطئ إن نسبه إلى غيره، فإن كل من عرف عظمة الله تعالى وإحاطته بكل شيء، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة، وأنه يطوي السماء كطي السجل للكتب، فإنه لن يخطر بباله أن شيئا من مخلوقاته يمكن أن يحيط به.

* **وعلى هذا فيخرج كونه (في السماء) على أحد معنيين:**

الأول: أن يراد بالسماء العلو فيكون المعنى أن الله في العلو أي في جهة العلو، والسماء بمعنى العلو ثابت في القرآن **قال الله تعالى**: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الأنفال:١١] أي من العلو لا من السماء نفسها، لأن المطر ينزل من السحاب.

الثاني: أن تجعل (في) بمعنى (على) فيكون المعنى أن الله على السماء وقد جاءت (في) بمعنى (على) في مواضع كثيرة من القرآن وغيره **قال الله تعالى**: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: على الأرض. اهـ.

---

(١) كما في "مجموع فتاوى ورسائل العثيمين" (٤/ ٣٩).

وكذلك **قوله تعالى**: ﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٢٦] يعني على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها. وكذلك **قوله تعالى**: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] فوقها يعني: عليها.

* **وقال الألباني** رحمه الله عند حديث: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»، وذكر أن (في) بمعنى (على)، وبذلك فسرها علماء السلف والخلف، ومنهم: ابن عبد البر في التمهيد، والبيهقي في كتابيه الأسماء والاعتقاد. اهـ.

* **وقال** رحمه الله[1]: أيش معنى ارحموا من في الأرض؟، يعني: الديدان والحشرات التي تعيش في جوف الأرض ولا تستطيعون أن تطولوها بشيء من الرحمة، ما يتبادر هذا المعنى إلى ذهن عربي إطلاقًا، وإنما هنا (في) كهناك (على)، «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ**»، من على الأرض معكم «**يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**» أيضًا يرحمكم من في السماء، (في) هنا ليست ظرفية كما هناك في الأرض ليست ظرفية، وإنما هي بمعنى على. اهـ.

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[2]: وعلى هذا فيكون الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، كل هذه الأدلة قد تطابقت على أن الله تعالى في السماء، وأنه جل وعلا عالٍ بذاته كما أنه عالٍ بصفاته. ولكن يجب أن يعلم أن كونه في السماء لا يعني أن السماء تظله وأنها محيطة به، فإن الله تعالى أعظم من أن يظله شيء من خلقه، وهو ﷻ غني عما سواه، وكل شيء مفتقر إليه ﷻ، وهو الذي

---

(١) كما في "موسوعة الألباني" (٦/ ٥٠٣).

(٢) "فتاوى نور على الدرب" (٤/ ٢) بترقيم الشاملة آليا.

يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فلا يمكن أن تظله السماء، وعلى هذا فيزول المحظور الذي أظن أنه قد شبه على هذا السائل، بأنه إذا قلنا بأن الله في السماء لزم أن تكون السماء مظلة له ﷻ، وليس الأمر كذلك.

فإن قال قائل: قوله: في السماء، قد يفهم أن السماء تحيط به؛ لأن (في) للظرفية، والمظروف يكون الظرف محيطًا به. فالجواب: أن ذلك ليس بصحيح؛ لأن السماء بمعنى العلو، وأن السماء بمعنى العلو قد ورد في القرآن، كما في **قوله تعالى**: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [البقرة:٢٢] والماء ينزل من السحاب، والسحاب مسخر بين السماء والأرض، فيكون معنى **قوله**: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ أي: أنزل من العلو، ويكون معنى **قوله**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من في العلو. وهناك وجه آخر بأن نجعل (في) بمعنى (على)، ونجعل السماء هي السماء السقف المحفوظ، ويكون معنى (مَنْ فِي السَّمَاءِ) أي: من على السماء، وإذا كان عاليًا عليها فلا يلزمها أن تكون محيطة به. ولا يمكن أن تكون محيطة به.

و(في) تأتي بمعنى (على)، كما في **قوله تعالى**: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ [لقمان:١٠] أي: على الأرض، وكما في **قوله تعالى** عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل، بكل هذا يزول الإشكال والوهم الذي قد يعتري من لم يتدبر دلالة الكتاب والسنة في هذه المسألة العظيمة. ولا ريب أن من أنكر أن الله في السماء فهو مكذب بالقرآن والسنة وإجماع السلف، فعليه أن يتوب إلى الله ﷻ، وأن يتدبر دلالة الكتاب والسنة على وجه مجرد عن الهوى، ومجرد عن

التقليد، حتى يتبين له الحق، ويعرف أن الله ﷻ أعظم وأجل من أن يحيط به شيء من مخلوقاته. اهـ.

* وقال رحمه الله[1]: **قوله تعالى**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك:١٦] فيتوهم واهم أن الله تعالى داخل السماء، وأن السماء تحيط به كما لو قلنا: فلان في الحجرة فإن الحجرة محيطة به، فينفي بناء على هذا الوهم كون الله تعالى في السماء ويقول: إن الذي في السماء ملكه وسلطانه... ونحو ذلك.

☜ ومنشأ هذا الوهم ظنه أن (في) التي للظرفية تكون بمعنى واحد في جميع مواردها، وهذا ظن فاسد؛ فإن (في) يختلف معناها بحسب متعلقها؛ فإنه يفرق بين كون الشيء في المكان، وكون العرض في الجسم، وكون الوجه في المرآة، وكون الكلام في الورق المكتوب فيه، فلو قيل: هل العرش في السماء أو في الأرض؟ لقيل: في السماء؛ مع أن العرش أكبر من السماء كثيرًا.

* **وعلى هذا فيخرج قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ على أحد وجهين:**

- إما أن تكون السماء بمعنى العلو، فإن السماء يراد بها العلو كما في **قوله تعالى**: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [النمل:٦٠] والمطر ينزل من السحاب المسخر بين السماء والأرض لا من السماء نفسها، فيكون معنى كونه تعالى في السماء أنه في العلو المطلق فوق جميع المخلوقات، وليس هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء سوى الله تعالى.

---

(١) كما في «تقريب التدمرية» ص (٦٧).

- وإما أن تكون (في) بمعنى (على) كما جاءت بمعناها في مثل **قوله تعالى**: ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران:١٣٧]؛ أي على الأرض، **وقوله** عن فرعون: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ﴾ [طه:٧١]؛ أي على جذوع النخل، وعلى هذا فيكون معنى **قوله تعالى**: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]؛ أي على السماء أي فوقه، والله تعالى فوق السموات وفوق كل شيء. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[1]: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في **قوله**: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤﴾ [الحديد:٤].

وليس معنى **قوله**: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد:٤] أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته. وكل هذا الكلام الذي ذكره الله -من أنه فوق العرش وأنه معنا- حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف.

---

(١) «العقيدة الواسطية» بتعليق ابن مانع ص (١٧).

ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله: (في السماء) أن السماء تقله أو تظله وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض وهو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا، ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج:٦٥]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم:٢٥]. اهـ.

المسألة الثالثة عشرة

حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: وهَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا المَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم:٣٩]. متفق عليه[(١)].

× المعنى غير الصحيح: ربما توهم بعضهم أن الذي يذبح هو ملك الموت وهذا باطل وغير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

الذي يذبح هو الموت والموت زوال الحياة، وكل نفس ذائقة الموت، وهو أمر معنوي غير محسوس بالرؤية، ولكن الله تعالى يجعله شيئًا مرئيا مجسما، وَيُذْبَح بين الجنة والنار كما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ المتقدم.

* **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله[(٢)]: قال القاضي أبو بكر بن العربي: استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل؛ لأن الموت عرض، والعرض لا ينقلب جسما، فكيف يذبح؟

---

(١) رواه البخاري (٤٧٣٠) ومسلم (٢٨٤٩).

(٢) في «الفتح» (١١/ ٤٢١).

فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته. وتأولته طائفة فقالوا: هذا تمثيل، ولا ذبح هناك حقيقة. وقالت طائفة: بل الذبح على حقيقته، والمذبوح متولي الموت، وكلهم يعرفه؛ لأنه الذي تولى قبض أرواحهم. قلت وارتضى هذا بعض المتأخرين.

إلى أن قال: وقال غيره: لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجسادا يجعلها مادة لها، كما ثبت في "صحيح مسلم" في حديث إن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان ونحو ذلك من الأحاديث. اهـ.

❋ **قال ابن أبي العز** رحمه الله[1]: الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم، **قال تعالى**: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك:٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقا.

وفي الحديث: «**أَنَّهُ يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُذْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**». وهو وإن كان عرضا فالله تعالى يقلبه عينًا، كما ورد في العمل الصالح: أنه يأتي صاحبه في صورة الشاب الحسن، والعمل القبيح على أقبح صورة وورد في القرآن: أنه يأتي على صورة الشاب الشاحب اللون، الحديث أي قراءة القارئ وورد في الأعمال: أنها توضع في الميزان، والأعيان هي التي تقبل الوزن دون الأعراض وورد في سورة البقرة وآل عمران: أنهما يوم القيامة يظلان صاحبهما كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف. وفي الصحيح أن أعمال العباد تصعد إلى السماء. اهـ.

---

(١) في "شرح الطحاوية".

المسألة الرابعة عشرة

حديث حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ ﷺ، قَالَ: وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً**». ثَلَاثَ مَرَّات. رواه مسلم (٢٧٥٠).

✕ المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من قوله: «**ولكن ساعة وساعة**» أنها ساعة في الطاعة وساعة في المعصية، كما يقول بعضهم: ساعة لربك وساعة لقلبك وهذا المعنى باطل وغير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* **بوب الإمام النووي ﷺ على هذ الحديث فقال:** [باب فضل دوام الذكر، والفكر في أمور الآخرة، والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات، والانشغال بالدنيا].

❋ **وقال النووي** رحمه الله: خاف حنظلة أنه منافق حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي ﷺ، ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا.

❋ **وقال** "صاحب المرقاة": ساعة تؤدون حقوق ربكم، وساعة الفتور تقضون حظوظ أنفسكم، ويحتمل أن يكون قوله: «**سَاعَةً وَسَاعَةً**» للترخيص، أو للتحفظ؛ لئلا تسأم النفس عن العبادة. اهـ.

❋ **قال العثيمين** رحمه الله[1]: «**سَاعَةً وَسَاعَةً**» يعني ساعة للرب ﷻ، وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم.

وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، أن الله ﷻ له حق فيعطي حقه ﷻ، وكذلك للنفس حق فتعطى حقها، وللأهل حق فيعطون حقوقهم، وللزوار والضيوف حق فيعطون حقوقهم، حتى يقوم الإنسان بجميع الحقوق التي عليه على وجه الراحة، ويتعبد لله ﷻ براحة، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها مل وتعب، وأضاع حقوقًا كثيرة.

وهذا كما يكون في العبادة وفي حقوق النفس والأهل والضيف، يكون كذلك أيضًا في العلوم، فإذا طلب الإنسان العلم ورأى في نفسه مللًا في مراجعة كتاب ما، فلينتقل إلى كتاب آخر، وإذا رأى من نفسه مللًا من دراسة فن معين، فإنه ينتقل إلى دراسة فن آخر، وهكذا يريح نفسه، ويحصل علمًا كثيرًا. أما إذا أكره

---

(١) في "شرح رياض الصالحين".

نفسه على الشيء حصل له من الملل والتعب ما يجعله يسأم وينصرف، إلا ما شاء الله. اهـ.

☜ فيجب أن تكون هذه الساعات محكومة بميزان الشرع. ومما يبين ذلك حديث أبي جحيفة في قصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء ﷺ، «**وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**». رواه البخاري (١٩٦٨).

- والإنسان حياته كلها لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢].

المسألة الخامسة عشرة

حديث ابْنِ مُحَيْرِيزٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جُمُعَةَ -رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ-: حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ، أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا جَيِّدًا، تَغَدَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَحَدٌ خَيْرٌ مِنَّا، أَسْلَمْنَا مَعَكَ، وَجَاهَدْنَا مَعَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، قَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي**»[(١)].

وحديث عُتْبَةَ بْنِ غَزْوَانٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهِنَّ يَوْمَئِذٍ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ أَوَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**بَلْ مِنْكُمْ**»[(٢)].

وذكر له شاهدًا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند الطبراني، وآخر من حديث أبي ثعلبة الخشني مرفوعًا، أخرجه أبو داود، والترمذي[(٣)].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من هذا أفضلية غير الصحابة على الصحابة مطلقا.

---

(١) رواه أحمد، وصححه العلامة الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٢١٥).

(٢) أخرجه ابن نصر في «السنة»، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٨٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٢/ ١٧٧).

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال الحافظ** رحمه الله[١]: هذا الحديث لا يدل على أفضلية غير الصحابة على الصحابة؛ لأن مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة، وأيضا فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل، فأما ما فاز به من شاهد النبي ﷺ من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد، فبهذه الطريق يمكن تأويل الأحاديث المتقدمة. اهـ.

❋ **قال ابن العربي** رحمه الله[٢]: وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم. اهـ.

❋ **قال ابن كثير** رحمه الله[٣] تعليقًا على حديث أبي جمعة المتقدم: وهذا الحديث فيه دلالة على العمل بالوجادة التي اختلف فيها أهل الحديث، كما قررته في أول شرح البخاري؛ لأنه مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجرا من هذه الحيثية لا مطلقا. اهـ.

❋ **قال العثيمين** رحمه الله: وهذه المسألة أشار إليها العلامة ابن القيم في "النونية" وهي: أن الإنسان إذا تميَّز بخصيصة لا يلزم منه أن يكون أفضل على الإطلاق.

---

(١) في "الفتح" (٧/ ٧).

(٢) في "العواصم".

(٣) في "تفسيره" (١/ ١٦٦).

مثاله: قول الرسول ﷺ في غزوة خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فلما أصبح أعطى ﷺ الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

فهنا إعطاؤه ﷺ الراية لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هل يلزم منه أن يكون أفضل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؟ والجواب: لا يلزم.

والفضل منه مطلق ومنه مقيّد: ومثاله أيضًا: ما جاء في حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَلْ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعِ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ القَبْضِ عَلَى الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا مِنْكُمْ**» رواه الترمذي (٣٠٥٨). والشاهد هنا في قوله ﷺ: «**أجر خمسين منكم**».

ولا يلزم من هذا الفضل أن يكون أفضل من الصحابة رضي الله عنهم، فيجب التفريق بين الفضل المطلق والفضل المقيَّد. اهـ.

ويتسدل كذلك بحديث: «**إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وفيه: «**فَأَجِدُ مُوسَى بَاطِشًا بِسَاقِ الْعَرْشِ**». وغيرها من الأدلة في فضائل بعض الأنبياء، ولا يلزم منها أفضليتهم على النبي ﷺ.

☜ **فيكون المعنى:** أنه يعطى أجر خمسين من الصحابة في هذه المسألة وهي مسألة التمسك بالسنة في آخر الزمان عند اشتداد الغربة وتسلط الأعداء، فهذه أفضلية مقيدة في هذه الخصلة، لا الأفضلية المطلقة، والحمد لله.

المسألة السادسة عشرة

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**». متفق عليه(١).

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعض الناس من قوله: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» أن العمل لا قيمة له في دخول الجنة، وأنه يستوي في دخول الجنة من يعمل ومن لا يعمل.

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال النووي** رحمه الله(٢): وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته، وأما **قوله تعالى**: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ [النحل:٣٢]، **وقوله**: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾ [الزخرف:٧٢]، ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال، ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله. فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث، ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والله أعلم. اهـ.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) في "شرح مسلم".

* **وقال الحافظ** رحمه الله[1]: فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف:٧٢] وحديث: «**لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ**» فالجواب: أن المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية دخولها بالعمل المتقبل. والقبول إنما يحصل برحمة الله، فلم يحصل الدخول إلا برحمة الله. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[2]: ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع. ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات، بل لا بد من ريح مربية بإذن الله، ولا بد من صرف الانتفاء عنه؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره. وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له؛ بل لا بد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة وتربيه في الرحم، وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع.

وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب ولهذا قال النبي ﷺ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**». وقد **قال الله**:

---

(١) في "فتح الباري" (١/ ٧٨).

(٢) كما في "مجموع الفتاوى" (٨/ ٧٠).

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:٣٢] فهذه باء السبب أي: بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا، أي: ليس العمل عوضًا وثمنًا كافيًا في دخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف البركات.

☜ **وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس:**

١- **فريق** آمنوا بالقدر وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود، فأعرضوا عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة، وهؤلاء يئول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه.

٢- **وفريق** أخذوا يطلبون الجزاء من الله، كما يطلبه الأجير من المستأجر، متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك، وهؤلاء جهال ضلال؛ فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجة إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلًا به، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم، وهو سبحانه كما **قال**: «**يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني**» فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم، فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساءوا فلها، لهم ما كسبوا وعليهم ما اكتسبوا: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [فصلت:٤٦]. اهـ.

❋ **وقال** رحمه الله[1]: إن الله علم الأمور وكتبها على ما هي عليه، فهو سبحانه قد كتب أن فلانًا يؤمن ويعمل صالحًا فيدخل الجنة، وفلانًا يعصي ويفسق فيدخل

---

(١) كما في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٢٦٥).

النار، كما علم وكتب أن فلانًا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد، وأن فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروى، وأن فلانًا يبذر البذر فينبت الزرع.

فمن قال: إن كنت من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح كان قوله قولًا باطلا متناقضا؛ لأنه علم أنه يدخل الجنة بعمله الصالح، فلو دخلها بلا عمل كان هذا مناقضًا لما علمه الله وقدره، ومثال ذلك من يقول: أنا لا أطأ امرأة فإن كان قد قضى الله لي بولد فهو يولد فهذا جاهل، فإن الله إذا قضى بالولد قضى أن أباه يطأ امرأة فتحبل فتلد، وأما الولد بلا حبل ولا وطء فإن الله لم يقدره ولم يكتبه، كذلك الجنة إنما أعدها الله للمؤمنين فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان كان ظنه باطلًا، وإذا اعتقد أن الأعمال التي أمر الله بها لا يحتاج إليها، ولا فرق بين أن يعملها أو لا يعملها كان كافرًا، والله قد حرم الجنة على الكافرين، فهذا الاعتقاد يناقض الإيمان الذي لا يدخل صاحبه النار. اهـ.

❊ **قال الشيخ الألباني** رحمه الله[1]: اعلم أن هذا الحديث قد يشكل على بعض الناس، ويتوهم أنه مخالف **لقوله تعالى**: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف:٧٢]، ونحوها من الآيات والأحاديث الدالة على أن دخول الجنة بالعمل، وقد أجيب بأجوبة أقربها إلى الصواب: أن (الباء) في قوله في الحديث: «**بعمله**» هي باء الثمنية، و(الباء) في الآية هي باء السببية، أي أن العمل الصالح سبب لابد منه لدخول الجنة، ولكنه ليس ثمنًا لدخول الجنة، وما فيها من النعيم المقيم والدرجات. اهـ.

---

(١) كما في "موسوعة الألباني في العقيدة" (٩/ ٥٥٤).

المسألة السابعة عشرة

حديث أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ الرُّبَيِّعَ عَمَّتَهُ كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا العَفْوَ فَأَبَوْا، فَعَرَضُوا الأَرْشَ فَأَبَوْا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَوْا، إِلَّا القِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللهِ القِصَاصُ**». فَرَضِيَ القَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**». متفق عليه[(١)].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من قول أنس بن النضر: (والله لا تكسر ثنية الربيع) أن ذلك اعتراض منه على رسول الله ﷺ عندما أمر بالقصاص وهذا معنى باطل منكر.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال النووي** رحمه الله[(٢)]: وأما قوله: والله لا يقتص منها فليس معناه رد حكم النبي ﷺ، بل المراد به الرغبة إلى مستحق القصاص أن يعفو، وإلى النبي ﷺ في الشفاعة إليهم في العفو. وإنما حلف ثقة بهم أن لا يحنثوه، أو ثقة بفضل الله ولطفه أن لا يحنثه، بل يلهمهم العفو. وأما قوله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**» معناه لا يحنثه؛ لكرامته عليه. اهـ.

---

(١) رواه البخاري (٤٥٠٠)، ومسلم (١٦٧٥).

(٢) في «شرح مسلم» (١١/ ١٦٣).

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[١]: أقسم بهذا ليس ذلك ردًا لحكم الله ورسوله، ولكنه يحاول بقدر ما يستطيع أن يتكلم مع أهلها حتى يعفوا ويأخذوا الدية، أو يعفوا مجانًا، كأنه واثق من موافقتهم، لا ردًا لحكم الله ورسوله، فيسر الله ﷻ؛ فعفى أهل الجارية عن القصاص، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**». وهنا لا شك أن الحامل لأنس بن النضر هو قوة رجائه بالله ﷻ، وأن الله سييسر من الأسباب ما يمنع كسر ثنية أخته الربيع. اهـ.

* **وقال** رحمه الله[٢]: فأقسم ألا تكسر وليس مراده الاعتراض على حكم النبي ﷺ، لكنه أراد التفاؤل وأحسن الظن بالله، حيث ظن أن الله تعالى سيجعل لها فرجًا ومخرجًا، وإلا من المعلوم أنه لو كان قصده الامتناع والاعتراض والإباء عن تنفيذ حكم الله ورسوله لكان على خطر عظيم ولما أبره الله ﷻ لكن مراده التفاؤل وإحسان الظن بالله ﷻ. اهـ.

---

(١) في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٤٨).

(٢) في «فتح ذي الجلال والإكرام» (٥/ ٢٤٧).

المسألة الثامنة عشرة

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف:١٠٠].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من ذلك جواز السجود لمخلوق أو يفهم مخالفة نبي الله يعقوب حيث سجد لمخلوق.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال ابن كثير** رحمه الله: **وقوله**: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: يعني السرير، أي: أجلسهما معه على سريره. ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًاۖ﴾ أي: سجد له أبواه وإخوته الباقون، وكانوا أحد عشر رجلا ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ أي: التي كان قصها على أبيه ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾. وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى، عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة، وجعل السجود مختصا بجناب الرب عز وجل. هذا مضمون قول قتادة وغيره.

وفي الحديث أن معاذًا قدم الشام، فوجدهم يسجدون لأساقفتهم، فلما رجع سجد لرسول الله ﷺ، فقال: «**ما هذا يا معاذ؟**» فقال: إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا، أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».

وفي حديث آخر: أن سلمان لقي النبي ﷺ في بعض طرق المدينة، وكان سلمان حديث عهد بالإسلام، فسجد للنبي ﷺ، فقال: «**لا تسجد لي يا سلمان، واسجد للحي الذي لا يموت**». والغرض أن هذا كان جائزا في شريعتهم؛ ولهذا خروا له سجدًا. اهـ.

* **قال العلامة ابن باز** رحمه الله[1]: ونص القرآن أن يوسف عليه السلام رفع أبويه على العرش وهما: أبوه وأمه لا خالته، بل أبوه وأمه، لأن الله سبحانه **قال**: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾، وكانت السجدة ذلك الوقت مباحة للإكرام والتحية وليست للعبادة، وكما سجد الملائكة لآدم إكرامًا وتعظيمًا لا عبادة، فهذه السجدة ليست من باب العبادة، بل هي من باب التحية والإكرام، وهي جائزة في شرع من قبلنا، ولكن في شريعة محمد ﷺ ممنوع ذلك؛ ولهذا ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**وَلَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا، أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**»، لعظم حقه عليها. وبين أن السجود لله ﷻ، فلا يسجد إلا لله ﷻ، **وقال** ﷻ في آخر سورة النجم: ﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم:٦٢]، **وقال** في سورة اقرأ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق:١٩].

فالسجود لله وحده، وشريعة محمد ﷺ هي أكمل الشرائع وأتمها، فلا يجوز فيها السجود لغير الله لا تحية ولا عبادة، أما العبادة فلا تصح إلا لله وحده في جميع الشرائع؛ لأن الله جل وعلا **قال**: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

(١) «فتاوى نور على الدرب» بعناية الشويعر (٤/ ١١١).

إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء:٢٣]، **وقال سبحانه**: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]. اهـ.

* **يقول ابن عطية** رحمه الله[1] في معنى السجود: واختلف في هذا السجود، فقيل: كان كالمعهود عندنا من وضع الوجه بالأرض، وقيل: بل دون ذلك كالركوع البالغ ونحوه، مما كان سيرة تحياتهم للملوك في ذلك الزمان، وأجمع المفسرون أن ذلك السجود -على أي هيئة كان- فإنما كان تحية لا عبادة، قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندهم. اهـ.

(١) كما في «تفسيره» (٩/ ٣٧٧-٣٧٨).

المسالة التاسعة عشرة

جاء عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بْنَ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، حَدَّثَهُ قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا: وَاللهِ، لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ - قَالَا لِي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ- إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَاهُ، فَأَمَّرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَأَدَّيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ، قَالَ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا، فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَا تَفْعَلَا، فَوَاللهِ، مَا هُوَ بِفَاعِلٍ، فَانْتَحَاهُ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ: وَاللهِ، مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ، لَقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا نَفِسْنَاهُ عَلَيْكَ، قَالَ عَلِيٌّ: أَرْسِلُوهُمَا، فَانْطَلَقَا، وَاضْطَجَعَ عَلِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ، فَقُمْنَا عِنْدَهَا، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِآذَانِنَا، ثُمَّ قَالَ: «**أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ**» ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، قَالَ: فَتَوَاكَلْنَا الْكَلَامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ، فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَنُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَنُصِيبَ كَمَا يُصِيبُونَ، قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ، قَالَ: وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا تُكَلِّمَاهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ - وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ- وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**» قَالَ: فَجَاءَاهُ، فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «**أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ**» -لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ- فَأَنْكَحَهُ، وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: «**أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ**» -لِي- فَأَنْكَحَنِي وَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: «**أَصْدِقْ**

عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا، وَكَذَا». قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَلَمْ يُسَمِّهِ لِي. رواه مسلم (١٠٧٢).

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من قوله: «**أوساخ الناس**» أن في هذا تحقيرًا للزكاة وهي فريضة، وهذا المعنى باطل ومنكر.

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال النووي** رحمه الله[١]: ومعنى «**أوساخ الناس**» أنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما **قال تعالى**: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] فهي كغسالة الأوساخ. اهـ.

❋ **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[٢]: ومن فوائد الحديث: جواز وصف الزكاة بالأوساخ، لكن هذا مشكل كيف نصفها بأنها أوساخ الناس وهي ركن من أركان الإسلام، وهل في الإسلام شيء وسخ مشكل هذا؟ المسألة ثقيلة ليست هينة هي بالنسبة لإخراجها وإيتائها لأصنافها تعد ركنًا من أركان الإسلام، تزكي النفس وتطهرها، وتلحقها بالكرماء والمحسنين، وبالنسبة للمعطي نقول: إنه وسخ؛ لأنه هو الشيء الذي طهر به المال، فهو كالماء الذي طهرت به النجاسة، ولا ينبغي للإنسان أن يأخذها إلا وقت الحاجة، كما لو اضطر الإنسان إلى الماء النجس يشربه! اهـ.

---

(١) كما في «شرح مسلم» (٧/ ١٧٩).

(٢) في «فتح ذي الجلال والإكرام» (٣/ ١٥٢).

المسألة العشرون

قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر:٥٦].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من قوله: ﴿فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦] إثبات صفة الجنب لله تعالى وهذا المعنى غير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: وقوله: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]؛ يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله. اهـ.

* قال شيخ الإسلام رحمه الله[1]: وأما قولهم: (وجنب) فإنه لا يعرف عالم مشهور عند المسلمين، ولا طائفة مشهورة من طوائف المسلمين، أثبتوا لله جنبًا نظير جنب الإنسان، وهذا اللفظ جاء في القرآن في قوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

فليس في مجرد الإضافة ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق، كقوله: (بيت الله) و(ناقة الله) و(عباد الله)، بل وكذلك (روح الله) عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم. ولكن إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره، مثل كلام الله وعلم الله، ويد الله ونحو ذلك، كان صفة له.

---

(١) كما في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» (٤/ ٤١٥).

وفي القرآن ما يبين أنه ليس المراد بالجنب ما هو نظير جنب الإنسان فإنه قال: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦].

والتفريط ليس في شيء من صفات الله ﷻ. والإنسان إذا قال: فلان قد فرط في جنب فلان أو جانبه، لا يريد به أن التفريط وقع في شيء من نفس ذلك الشخص، بل يريد به أنه فرط في جهته وفي حقه.

فإذا كان هذا اللفظ إذا أضيف إلى المخلوق لا يكون ظاهره أن التفريط في نفس جنب الإنسان المتصل بأضلاعه، بل ذلك التفريط لم يلاصقه، فكيف يظن أن ظاهره في حق الله أن التفريط كان في ذاته؟

وجنب الشيء وجانبه، قد يراد به منتهاه وحده، ويسمى جنب الإنسان جنبا بهذا الاعتبار، **قال تعالى**: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة:١٦]، **وقال تعالى**: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران:١٩١].

وقال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**».

وإذا قُدِّر أن الإضافة هنا تتضمن صفة الله، كان الكلام في هذا كالكلام في سائر ما يضاف إليه تعالى من الصفات، وفي التوراة من ذلك نظير ما في القرآن. اهـ.

* **قال ابن القيم** رحمه الله[1]: قال عثمان بن سعيد الدارمي في "نقضه على المريسي": وادَّعى المُعارِض زُورًا على قوم أنهم يقولون في تفسير **قول الله**: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦] إنهم يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو، وليس ذلك على ما يتوهمونه.

قال الدَّارمي: فيقال لهذا المعارِض: ما أرخصَ الكذبَ عندك وأخفَّه على لسانك! فإن كنتَ صادقًا في دعواك فأشِرْ بها إلى أحدٍ من بني آدم قاله، وإلَّا فلِمَ تُشنِّع بالكذب على قومٍ هم أعلم بهذا التفسير منك، وأبصرُ بتأويل كتاب الله منك ومن إمامك؟ إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعو إلى ذات الله، واختاروا عليها الكفرَ والسخرية بأولياء الله فسمَّاهم الساخرين، فهذا تفسير الجَنْب عندهم، فمن أنبأك أنهم قالوا جَنْبٌ من الجنوب؟ فإنه لا يجهل هذا المعنى كثيرٌ من عوامِّ المسلمين، فضلًا عن علمائهم، وقد قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: (الكذب مجانِبٌ للإيمان). وقال ابن مسعود: (لا يجوز من الكذب جدٌّ ولا هزلٌ). وقال الشَّعبي: (من كان كذابًا فهو منافقٌ).

* وتوجيه ذلك أنَّ الله **قال**: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٩﴾ [الزمر:٥٦-٥٩] فهذا إخبارٌ عمَّا تقوله هذه النفس الموصوفة بما وُصفت به، وعامة هذه النفوس لا تعلم أن لله جَنبًا، ولا

---

(١) في "الصواعق المرسلة" (١/ ٨٠).

تقر بذلك كما هو الموجود منها في الدنيا، فكيف يكون ظاهر القرآن أن الله أخبر عنهم بذلك؟ **وقد قال عنهم**: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ والتفريط فعلٌ أو تركُ فعلٍ، وهذا لا يكون قائمًا بذات الله، لا في جَنب ولا في غيره، بل يكون منفصلًا عن الله، وهذا معلوم بالحسِّ والمشاهدة. وظاهر القرآن يدل على أن قول القائل: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ ليس أنه جعل فِعله أو تركَه في جَنبٍ يكون من صفات الله وأبعاضه، فأين في ظاهر القرآن ما يدل على أنه ليس لله إلَّا جنبٌ واحدٌ يعني به الشِّق؟ اهـ.

فائدة: ومن هؤلاء الذين جعلوا (الجنب) صفةً من صفات الله الذاتية صديق حسن خان ﵀ في كتابه "قطف الثمر" ص (٦٧) وأخطأ ﵀.

فائدة أخرى: ذكر ابن الجوزي ﵀ في "زاد المسير" عند تفسير الآية السابقة خمسة أقوال لجنب الله: طاعة الله، وحق الله، وأمر الله، وذكر الله، وقرب الله.

المسألة الواحدة والعشرون

✍ قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٥٥﴾ [الزخرف:٥٥].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من الآية إثبات الحزن والندم لله سبحانه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾: نحن نعرف أن الأسف هو الحزن والندم على شيء مضى على النادم لا يستطيع رفعه، فهل يوصف الله بالحزن والندم؟ الجواب: لا.

ونجيب عن الآية بأن الأسف في اللغة له معنيان:

المعنى الأول: الأسف بمعنى الحزن، مثل **قول الله تعالى** عن يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ﴾ [يوسف:٨٤].

المعنى الثاني: الأسف بمعنى الغضب، فيقال: أسف عليه، بمعنى: غضب عليه.

والمعنى الأول: ممتنع بالنسبة لله ﷻ. والثاني: مثبت لله، لأن الله تعالى وصف به نفسه، **فقال**: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾. اهـ.

☜ وفي معنى **قوله تعالى**: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾ [الأعراف:١٥٠]. **قال ابن كثير** رحمه الله: يخبر تعالى أن موسى، عليه السلام، رجع إلى

---

(١) في «شرح الواسطية» (١/ ٢٧١).

قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف. قال أبو الدرداء (الأسف): أشد الغضب. اهـ.

* **وقال العثيمين** رحمه الله[1]: فإن قال قائلٌ: هل الغضبُ صفةُ مدحٍ أو صفةُ عيبٍ؟ فالجوابُ: الغضبُ صفةُ مدحٍ في محلِّها؛ لأنَّه يدلُّ على قوةِ الغاضِبِ وقُدرتِه على الانتقامِ، بخلافِ الحزْنِ، ولهذا لا يُوصَفُ اللهُ بالحزنِ؛ لأنَّه صفةُ ذمٍّ، وإنما يوصَفُ بالغضبِ بما يدلُّ على قدرته على الانتقامِ، انظرْ مَثلًا إلى رجلٍ أساء إليه ابنُه، فإنه يغضبُ ويؤدِّبُه، وانظرْ إلى شخصٍ ضعيفٍ أساء إليه رجلٌ قويٌّ فإنه يَحْزَنُ، ولا يستطيعُ أن يَغْضَبَ، ماذا يفعلُ إذا غَضِبَ؟ فرجلٌ مِثْل الجَمَل بقوةِ الفيلِ يضربُ شخصًا يكونُ قَدْرَ فَخِذِه، وضعيفًا، هذا يَغْضَبُ؟ وماذا يفعلُ له غضبُه؟ فالغضبُ لا يكونُ إلا من قادرٍ على الانتقامِ، ولهذا نقولُ: إن الغضبَ في محلِّهِ صفةُ مدحٍ. اهـ.

---

(١) في "تفسير سورة الشورى" ص (١٦٣).

المسألة الثانية والعشرون

قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ [يس:٣٠].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من **قوله تعالى**: ﴿يَٰحَسۡرَةً﴾ إثبات التوجع والتحسر لله سبحانه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال ابن جرير** رحمه الله: القول في تأويل **قوله تعالى**: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾ يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها، وتندّما وتلهفا في استهزائهم برسل الله، ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾. وذكر أن ذلك في بعض القراءات: ﴿يَاحَسْرَةَ العِبَادِ عَلى أنْفُسِهَا﴾. اهـ.

* **وقال ابن كثير** رحمه الله: قال علي بن أبي طلحة: عن ابن عباس في **قوله تعالى**: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ أي يا ويل العباد، وقال قتادة: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ أي: يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله، وفرطت في جنب الله، وفي بعض القراءات: يا حسرة العباد على أنفسهم، ومعنى هذا يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، كيف كذبوا رسل الله، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ أي يكذبونه ويستهزئون به ويمجدون ما أرسل به من الحق. اهـ.

* **تنبيه**: وجد في بعض النسخ من "تفسير السعدي" رحمه الله قوله عند الآية: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِ﴾ من سورة يس، قال: (قال الله متوجعا للعباد)، وهذه العبارة خطأ، فقال بعضهم: أنها تصحفت من كلمة مترحما، وأصل الكلام (قال الله

مترحما للعباد). وأثبتها بعضهم، وعلى فرض ثبوتها عن الإمام السعدي ﵀، فنقول: أخطأ ﵀، وليس بمعصوم، وهو إمام من أئمة السنة لا ينقص ذلك من منزلته وفضله، وهو من أعظم من قرر منهج السلف في كتبه ودعوته وحياته.

المسألة الثالثة والعشرون

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**قَالَ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَحْمِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ فَارِسًا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ، وَلَمْ تَحْمِلْ شَيْئًا إِلَّا وَاحِدًا، سَاقِطًا أَحَدُ شِقَّيْهِ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ قَالَهَا لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ**». رواه البخاري (٣٤٢٤).

× المعنى غير الصحيح: ربما توهم بعضهم من قوله: «**فلم يقل إن شاء الله**» أنه ترك ذلك عمدًا، وهذا المعنى غير صحيح.

✓ المعنى الصحيح: يبين هذا الحديث ما جاء في الرواية الأخرى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عليهما السلام: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ بِمِائَةِ امْرَأَةٍ، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ المَلَكُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَأَطَافَ بِهِنَّ، وَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ أَرْجَى لِحَاجَتِهِ**». رواه البخاري (٥٢٤٢).

وكذلك في الرواية الأخرى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ نَبِيُّ اللهِ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِغُلَامٍ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ -أَوِ الْمَلَكُ-: قُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ وَنَسِيَ، فَلَمْ تَأْتِ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِهِ إِلَّا وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ غُلَامٍ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ، لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرَكًا لَهُ فِي حَاجَتِهِ**». رواه مسلم (١٦٥٤).

☜ فذكر فيهما أنه نسي أن يقول إن شاء الله.

❊ **قال النووي** رحمه الله: وقوله: «**نُسِّي**» ضبطه بعض الأئمة بضم النون وتشديد السين، وهو ظاهر حسن والله أعلم. اهـ.

❊ **قال الحافظ** رحمه الله[١]: وفيه جواز السهو على الأنبياء، وأن ذلك لا يقدح في علو منصبهم. اهـ.

فائدة:

❊ **قال النووي** رحمه الله: قوله ﷺ: «**كان لسليمان ستون امرأة**»، وفي رواية: «**سبعون**»، وفي رواية: «**تسعون**»، وفي غير"صحيح مسلم": «**تسع وتسعون**»، وفي رواية: «**مائة**» هذا كله ليس بمتعارض؛ لأنه ليس في ذكر القليل نفي الكثير. اهـ.

❊ **ورد عليه الحافظ فقال** رحمه الله[٢]: فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسع وتسعون ومائة، والجمع بينها: أن الستين كن حرائر، وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس. وأما السبعون فللمبالغة، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين.

فمن قال تسعون ألغى الكسر، ومن قال مائة جبره، ومن ثم وقع التردد في رواية جعفر، وأما قول بعض الشراح ليس في ذكر القليل نفي الكثير، وهو من مفهوم العدد، وليس بحجة عند الجمهور، فليس بكاف في هذا المقام؛ وذلك أن مفهوم العدد معتبر عند كثيرين والله أعلم. اهـ.

---

(١) "فتح الباري".

(٢) "فتح الباري" (٦/ ٤٦٠).

المسألة الرابعة والعشرون

حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ». متفق عليه[1].

✗ المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من قوله: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، والتهوين من ارتكاب المعاصي.

✓ المعنى الصحيح:

❋ قال النووي رحمه الله[2]: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» معناه: ما دمت تذنب ثم تتوب غفرت لك، وهذا جار على القاعدة التي ذكرناها، قوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» ولا يختص قبولها بوقت. اهـ.

❋ قال صاحب المرقاة[3]: قال الطيبي: أي اعمل ما شئت ما دمت تذنب ثم تتوب فسوف أغفر لك، وهذه العبارة تستعمل في مقام السخط، كقوله تعالى:

---

(١) رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨).

(٢) في «شرح مسلم» (١٧/ ٧٥).

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦١٨).

﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت:٤٠] مرادا هنا، وفي مقام الحفاوة يعني مقام التلطف كما في الحديث، وفي قوله ﷺ في حق حاطب بن أبي بلتعة: «**لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». وكما تقول لمن تحبه ويؤذيك: اصنع ما شئت فلست بتارك لك، وليس المراد من ذلك الحث على الفعل، بل إظهار الحفاوة.

❋ **وقال القرطبي:** فائدة هذا الحديث أن العود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه، لأنه أضاف إلى ملابسة الذنب نقض التوبة، لكن العود إلى التوبة أحسن من ابتدائها، لأنه أضاف إليها ملازمة الطلب من الكريم والإلحاح في سؤاله، والاعتراف بأنه لا غافر للذنب سواه.

❋ **وقال النووي** رحمه الله: في هذا الحديث أن الذنوب وإن تكررت مائة مرة بل ألفًا أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته. ولو تاب من الجميع توبةً واحدةً صحت توبته. قلت: هذا الأخير بالإجماع وإنما خالف من خالف إذا تاب من بعض الذنوب، أو إذا نقض التوبة، والصحيح صحتها. اهـ.

❋ **قال ابن القيم** رحمه الله[1]: ونظيرُ هذا قولُه في الحديث الآخر: «**أَذْنَبَ عبدٌ ذنبًا، فقال: أي ربِّ! أَذْنَبْتُ ذنبًا؛ فاغْفِرْهُ لي! فغفر لهُ. ثمَّ مكثَ ما شاء الله أن يمكُث، ثمَّ أَذْنَبَ ذنبًا آخر، فقال: أي رَبِّ! أَصَبْتُ ذنبًا؛ فاغْفِرْهُ لي! فغفرَ له. ثمَّ مكث ما شاء الله أن يمْكُثَ، ثمَّ أَذْنَبَ ذنبًا آخر، فقال: رَبِّ! أصبْتُ ذنبًا؛ فاغْفِرْهُ لي! فقال الله: عِلِمَ عبدي أنَّ لهُ ربًّا يغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لعبدي؛ فليَعْمَلْ ما شاءَ**».

---

(١) كما في «الفوائد» (١/ ٢٢).

فليس في هذا إطلاق وإذن منه سبحانه له في المحرمات والجرائم، وإنما يدل على أنه يغفر له ما دام كذلك إذا أذنب تاب.

واختصاص هذا العبد بهذا؛ لأنه قد علم أنه لا يصر على ذنب، وأنه كلما أذنب تاب حكم يعم كل من كانت حاله كحاله، لكن ذلك العبد مقطوع له بذلك كما قطع به لأهل بدر، وكذلك كل من بشره رسول الله ﷺ بالجنة أو أخبره بأنه مغفور له، لم يفهم منه هو ولا غيره من الصحابة إطلاق الذنوب والمعاصي له ومسامحته بترك الواجبات، بل كان هؤلاء أشد اجتهادا وحذرا وخوفا بعد البشارة منهم قبلها؛ كالعشرة المشهود لهم بالجنة، وقد كان الصديق شديد الحذر والمخافة، وكذلك عمر؛ فإنهم علموا أن البشارة المطلقة مقيدة بشروطها والاستمرار عليها إلى الموت، ومقيدة بانتفاء موانعها، ولم يفهم أحد منهم من ذلك الإطلاق والإذن فيما شاؤوا من الأعمال. اهـ.

المسألة الخامسة والعشرون

حديث أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي -أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي- أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**». رواه البخاري (١٢٣٧).

وحديث يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ، حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيَّ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه حَدَّثَهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ**» وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: هَذَا عِنْدَ المَوْتِ، أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، غُفِرَ لَهُ.

متفق عليه[(١)].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من هذا أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وكذلك التهاون في شأن المعاصي والذنوب.

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال النووي** رحمه الله[(٢)]: وأما معنى الحديث وما أشبهه فقد جمع فيه القاضي عياض رحمه الله كلامًا حسنًا جمع فيه نفائس، فأنا أنقل كلامه مختصرًا، ثم أضم بعده

---

(١) رواه البخاري (٥٨٢٧)، ومسلم (١٥٣).

(٢) في «شرح مسلم» (١/ ٢١٨).

إليه ما حضرني من زيادة: **قال القاضي عياض** رحمه الله اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين: فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان. وقالت الخوارج: تضره ويكفر بها. وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة، ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصف بأنه فاسق. وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب، فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة.

قال: وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة، وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محمله على أنه غفر له، أو أخرج من النار بالشفاعة، ثم أدخل الجنة. فيكون معنى قوله ﷺ: «**دخل الجنة**»، أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب، وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة، فلا بد من تأويل هذا؛ لئلا تتناقض نصوص الشريعة.

وفي قوله ﷺ «**وهو يعلم**» إشارة إلى الرد على من قال من غلاة المرجئة إن مُظْهِر الشهادتين يدخل الجنة، وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله ﷺ: «**غير شاك فيهما**»، وهذا يؤكد ما قلناه قال القاضي وقد يحتج به أيضا من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين، لاقتصاره على العلم.

ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالشهادتين، لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى، إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه، أو لم تمهله المدة ليقولها، بل اخترمته المنية. ولا حجة لمخالف الجماعة بهذا اللفظ إذ قد ورد مفسرًا في الحديث الآخر: «**من قال لا إله إلا الله**»، و «**من شهد أن لا**

إله إلا الله وأني رسول الله»، وقد جاء هذا الحديث وأمثاله كثيرة في ألفاظها اختلاف، ولمعانيها عند أهل التحقيق ائتلاف، فجاء هذا اللفظ في هذا الحديث وفي رواية معاذ عنه ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»، وفي رواية عنه ﷺ: من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة»، وعنه ﷺ: «**ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا حرمه الله على النار**»، ونحوه في حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك ﷺ وزاد في حديث عبادة: «**على ما كان من عمل**»، وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «**لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**»، وفي حديث أنس ﷺ: «**حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى**».

وهذه الأحاديث كلها سردها مسلم ﷺ في كتابه، فحكى عن جماعة من السلف ﷺ منهم ابن المسيب أن هذا كان قبل نزول الفرائض والأمر والنهي، وقال بعضهم: هي مجملة تحتاج إلى شرح، ومعناه من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها وهذا قول الحسن البصري. وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك وهذا قول البخاري.

وهذه التأويلات إنما هي إذا حُمِلَت الأحاديث على ظاهرها، وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون.

فنقرر أولا أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح، وأهل الحديث والفقهاء، والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين، أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتَشَهَّدَ مخلصًا من قلبه

بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائبًا أو سليمًا من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه، وحرم على النار بالجملة.

فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بينًا، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري، وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه، فهو في المشيئة لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل يقطع بأنه لابد من دخوله الجنة آخرًا، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه وإن شاء عفا عنه بفضله.

ويمكن أن تستقل الأحاديث بنفسها ويجمع بينها، فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد؛ إما معجلًا معافى وإما مؤخرًا بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود خلافًا للخوارج والمعتزلة في المسألتين، ويجوز في حديث: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**» أن يكون خصوصًا لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه، وإن كان قبل مخلطًا فيكون سببا لرحمة الله تعالى إياه، ونجاته رأسًا من النار وتحريمه عليها، بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين، وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا.

ودخوله من أي أبواب الجنة شاء يكون خصوصا لمن قال ما ذكره النبي ﷺ، وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد، الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى والله أعلم.

☜ هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وهو في نهاية الحسن، وأما ما حكاه عن بن المسيب وغيره فضعيف باطل؛ وذلك لأن راوي أحد هذه الأحاديث أبو هريرة رضي الله عنه وهو متأخر الإسلام، أسلم عام خيبر سنة سبع بالاتفاق، وكانت أحكام الشريعة مستقرة، وأكثر هذه الواجبات كانت فروضها مستقرة، وكانت الصلاة والصيام والزكاة وغيرها من الأحكام قد تقرر فرضها، وكذا الحج على قول من قال فرض سنة خمس أو ست، وهما أرجح من قول من قال سنة تسع. والله أعلم. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[1]: وأما قول القائل: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ واحتجاجه بالحديث المذكور. فيقال له: لا ريب أن الكتاب والسنة فيهما وعد ووعيد، وقد **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء:١٠]، **وقال الله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء:٢٩-٣٠]. ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة، والعبد عليه أن يصدق بهذا وبهذا، لا يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فهؤلاء المشركون أرادوا أن يصدقوا بالوعد ويكذبوا بالوعيد. والحرورية والمعتزلة: أرادوا أن يصدقوا بالوعيد دون الوعد وكلاهما أخطأ.

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٨/ ٢٧٠).

والذي عليه أهل السنة والجماعة الإيمان بالوعد والوعيد، فكما أن ما توعد الله به العبد من العقاب قد بين سبحانه أنه بشروط: بأن لا يتوب، فإن تاب تاب الله عليه. وبأن لا يكون له حسنات تمحو ذنوبه؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات. وبأن لا يشاء الله أن يغفر له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. فهكذا الوعد له تفسير وبيان.

فمن قال بلسانه: لا إله إلا الله وكذب الرسول فهو كافر باتفاق المسلمين، وكذلك إن جحد شيئا مما أنزل الله، فلا بد من الإيمان بكل ما جاء به الرسول. ثم إن كان من أهل الكبائر فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له؛ فإن ارتد عن الإسلام ومات مرتدًا كان في النار، فالسيئات تحبطها التوبة والحسنات تحبطها الردة، ومن كان له حسنات وسيئات فإن الله لا يظلمه، بل من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره، والله تعالى قد يتفضل عليه ويحسن إليه بمغفرته ورحمته، ومن مات على الإيمان فإنه لا يخلد في النار. فالزاني والسارق لا يخلد في النار، بل لا بد أن يدخل الجنة. فإن النار يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان. اهـ.

* **وسئل العلامة العثيمين**[1]: ما صحة هذا الحديث قال رسول الله ﷺ: «**أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي، فَأَخْبَرَنِي -أَوْ قَالَ: بَشَّرَنِي- أَنَّهُ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**»، قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**» وما معناه بالتفصيل؟

(١) كما في «فتاوى نور على الدرب للعثيمين» (٦/ ٢).

فأجاب ﵀ **تعالى:** هذا الحديث صحيح، ومعناه: أن الإنسان إذا مات على الإسلام فإنه يدخل الجنة ولو زنى وسرق، ولكن لابد أن يعذب على ذنوبه بما شاء الله ﷻ إلا أن يغفر الله له. وهذا الحديث لا يعني إننا نتساهل في المعاصي والكبائر، بل هذا الحديث يرغب في تحقيق الإسلام، وأن الإسلام يمنع من الخلود في النار، ولكن على الإنسان أن يعلم أن المعاصي كما قال العلماء بريد الكفر، وأن المعاصي لا تزال بالرجل حتى يصل إلى حد الكفر والعياذ بالله؛ لأن الطاعات للقلب بمنزلة سقي الماء للشجرة، إذا داوم الإنسان عليه وثابر عليه بقيت الشجرة حية نضرة، وأن المعاصي بمنزلة قطع أغصان الشجرة، كلما قطع الإنسان منها غصنًا ضعفت ونقصت، حتى تذهب أغصانها، وربما يكون في ذلك ذهاب أصلها.

فعلى الإنسان أن يحمي إيمانه بطاعة الله ﷻ واجتناب معصيته، لكن لو فرض أنه فعل من المعاصي مالا يقتضي الكفر فإن مآله إلى الجنة إن شاء الله تعالى، وقولنا في جواب السؤال: فإن مآله إلى الجنة ليس معناه أن فعل المعاصي يؤدي إلى دخول الجنة، لكن معناه أن العاصي مهما بلغت ذنوبه من العظم إذا لم تصل إلى حد الكفر لا بد أن يكون مآله إلى الجنة بعد أن يعذب بما يقتضيه ذنبه، إلا أن يعفو الله عنه. اهـ.

❋ **وقال** ﵀[1]: وفي حديث أبي ذر ﵁: «**أن من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق**» وهذا لا يعني أن الزنى والسرقة سهلة، بل هي صعبة؛ ولهذا استعظمها أبو ذر وقال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: «**وإن زنى وإن سرق**».

---

(١) في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٣٦٨).

وذلك لأن من مات على الإيمان وعليه معاص من كبائر الذنوب؛ فإن الله **يقول**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]. قد يعفو الله عنه ولا يعاقبه، وقد يعاقبه، ولكن إن عاقبه فمآله إلى الجنة؛ لأن كل من كان لا يشرك بالله ولم يأت شيئًا مكفرًا، فإن مآله إلى الجنة. اهـ.

المسألة السادسة والعشرون

قوله تعالى عن موسى عليه السلام قوله للخضر عليه السلام: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف:٦٦].

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ تَمَارَى هُوَ وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ فِي صَاحِبِ مُوسَى، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ خَضِرٌ، فَمَرَّ بِهِمَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَدَعَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: إِنِّي تَمَارَيْتُ أَنَا وَصَاحِبِي هَذَا فِي صَاحِبِ مُوسَى، الَّذِي سَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَى لُقِيِّهِ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَذْكُرُ شَأْنَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَإٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، جاءه رجل فقال: هل تعلم أحد أَعْلَمَ مِنْكَ؟ قَالَ مُوسَى: لَا، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى مُوسَى: بَلَى: عَبْدُنَا خَضِرٌ، فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ اللهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً، وَقِيلَ لَهُ: إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ، فَإِنَّكَ سلتقاه، وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ، فَقَالَ لِمُوسَى فَتَاهُ: أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ؟ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ، وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ. قَالَ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي، فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا، فَوَجَدَا خَضِرًا، فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللهُ عز وجل فِي كتابه**». رواه البخاري (٧٨).

× المعنى غير الصحيح: ربما اعتقد بعضهم أفضلية الخضر على موسى عليهما السلام، – على القول بنبوة الخضر–؛ لأن موسى ذهب ليطلب العلم عنده، وقال له: (هل أتبعك) ومن قوله: (بلى عبدنا خضر) يعني أعلم منك وهذا المعنى غير صحيح.

وأما من يعتقد أن الخضر ليس بنبي وإنما هو ولي من الصالحين، ثم يعتقد أنه أفضل من موسى عليه السلام فهذا المعنى باطل ومنكر، وهو جار على اعتقاد بعض

الصوفية والرافضة والمبتدعة أن الأولياء أفضل من الأنبياء، بل ربما اعتقد بعضهم من الرافضة أن الأنبياء فشلوا في تبليغ الرسالة، وأنه لن يبلغها حق البلاغ إلا إمامهم المختبئ في السرداب، كما يقول ذلك إمامهم الخميني.

* **قال العلامة مقبل بن هادي الوادعي** رحمه الله[1]: أن الخميني يقول: إن لأئمتنا منْزلة لا ينالها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. يعنى أن أئمة أهل البيت أفضل من الأنبياء والملائكة. ويقول أيضًا: إن نصوص أئمتنا كالقرآن. ذكر هذين القولين في كتابه «الحكومة الإسلامية».

ويقول من إذاعة طهران: إن الأنبياء وأئمة أهل البيت لم ينجحوا في مهمتهم والذي سينجح في مهمته هو المهدي. ويعنى به صاحب السرداب المختفي في زعمهم منذ زيادة على ألف سنة والذي قال فيه بعض أهل السنة:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلفتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

فهذه الثلاث الخصال تدل على كفر الخميني. اهـ.

✓ المعنى الصحيح:

أولًا: أن الراجح في أمر الخضر عليه السلام أنه نبي يوحى إليه، كما **قال الله عنه**: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِىٓ﴾ [الكهف:٨٢] أي إنما فعلت ذلك بوحي من الله.

ثانيًا: أنه حتى على القول بنبوته فموسى عليه السلام أفضل منه بلا شك.

---

(١) كما في «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» ص (٣٣٠).

* **قال ابن حزم** رحمه الله[١]: خُصَّ الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام، حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه. وعلم أيضًا موسى عليه السلام علومًا لم يعلمها الخضر. وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الخضر قال لموسى عليه السلام: أني على علم من علم الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا.

قال أبو محمد: وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسى عليه السلام. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[٢]: فإن الخضر لما علم ثلاث مسائل لم يعلمها موسى لم يكن أفضل من موسى مطلقًا، والهدهد لما قال لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢] [سورة النمل: ٢٢] لم يكن أعلم من سليمان مطلقا. اهـ.

* **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله **ناقلا عن القرطبي** رحمه الله[٣]: ولننبه هنا على مغالطتين الأولى وقع لبعض الجهلة؛ أن الخضر أفضل من موسى؛ تمسكًا بهذه القصة وبما اشتملت عليه، وهذا إنما يصدر ممن قصر نظره على هذه القصة، ولم ينظر فيما خص الله به موسى عليه السلام من الرسالة، وسماع كلام الله، وإعطائه التوراة فيها علم كل شيء، وأن أنبياء بني إسرائيل كلهم داخلون تحت شريعته، ومخاطبون بحكم نبوته، حتى عيسى، وأدلة ذلك في القرآن كثيرة، ويكفي من ذلك **قوله تعالى**: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، وسيأتي في أحاديث الأنبياء من فضائل موسى ما فيه كفاية.

---

(١) كما في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٥/ ١٧).

(٢) كما في «منهاج السنة النبوية» (٧/ ١٥٩).

(٣) كما في «فتح الباري» (١/ ٢٢١).

قال: والخضر وإن كان نبيا فليس برسول باتفاق، والرسول أفضل من نبي ليس برسول. ولو تنزلنا على أنه رسول فرسالة موسى أعظم وأمته أكثر فهو أفضل. وغاية الخضر أن يكون كواحد من أنبياء بني إسرائيل وموسى أفضلهم.

وإن قلنا إن الخضر ليس بنبي بل ولي فالنبي أفضل من الولي، وهو أمر مقطوع به عقلًا ونقلًا، والصائر إلى خلافه كافر؛ لأنه أمر معلوم من الشرع بالضرورة. **قال:** وإنما كانت قصة الخضر مع موسى امتحانًا لموسى ليعتبر. اهـ.

* **قال الطحاوي** رحمه الله[1]: ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء. اهـ.

* **قال شيخ الإسلام** رحمه الله[2]: وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء، من غير اتباع لطريقهم، وفيهم طوائف يظنون أنهم صاروا أفضل من الأنبياء، وأن الولي الذي يظنون أفضل من الأنبياء، وفيهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدعي في نفسه أنه خاتم الأولياء. اهـ.

* **وقال شيخ الإسلام** رحمه الله[3]: وكذلك طائفة من الغلاة يعتقدون الإلهية أو النبوة في عليٍّ رضي الله عنه، وفي بعض أهل بيته: إما الاثنا عشر، وإما غيرهم.

---

(١) "العقيدة الطحاوية".

(٢) "منهاج السنة النبوية" (٥/ ٣٣٢).

(٣) "منهاج السنة النبوية" (٨/ ٥٩).

وكذلك طائفة من العامة والنساك يعتقدون في بعض الشيوخ نوعًا من الإلهية أو النبوة، أو أنهم أفضل من الأنبياء، ويجعلون خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء، وكذلك طائفة من هؤلاء يجعلون الأولياء أفضل من الأنبياء.

ويعتقد ابن عربي ونحوه: أن خاتم الأنبياء يستفيد من خاتم الأولياء، وأنه هو خاتم الأولياء.

ويعتقد طائفة أخرى: أن الفيلسوف الكامل أعلم من النبي بالحقائق العلمية والمعارف الإلهية.

فهذه الأقوال ونحوها هي من الكفر المخالف لدين الإسلام باتفاق أهل الإسلام، ومن قال منها شيئا فإنه يستتاب منه، كما يستتاب نظراؤه ممن يتكلم بالكفر، كاستتابة المرتد إن كان مظهرًا لذلك، وإلا كان داخلا في مقالات أهل الزندقة والنفاق.

وإن قُدِّر أن بعض الناس خفي عليه مخالفة ذلك لدين الإسلام: إما لكونه حديث عهد بالإسلام، أو لنشأته بين قوم جهال يعتقدون مثل ذلك فهذا بمنزلة من يجهل وجوب الصلاة أو بعضها، أو يرى الواجبات تجب على العامة دون الخاصة، وأن المحرمات كالزنا والخمر مباح للخاصة دون العامة.

وهذه الأقوال قد وقع في كثير منها كثير من المنتسبين إلى التشيع، والمنتسبين إلى كلام أو تصوف أو تفلسف، وهي مقالات باطلة معلومة البطلان عند أهل العلم والإيمان، لا يخفى بطلانها على من هو من أهل الإسلام والعلم. اهـ.

المسألة السابعة والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران:١٢٣].

× المعنى غير الصحيح: ربما فهم بعضهم من **قوله**: ﴿أَذِلَّةٌ﴾ أنه الذل الذي بمعنى الخزي والمهانة، وهذا معنى باطل وغير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال ابن كثير** رحمه الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عددكم؛ ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعدد؛ **ولهذا قال** في الآية الأخرى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة:٢٥-٢٧].

اهـ.

* **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله[1]: **قوله**: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليلون بالنسبة إلى من لقيهم من المشركين، ومن جهة أنهم كانوا مشاة إلا القليل منهم. ومن جهة أنهم كانوا عارين من السلاح، وكان المشركون على العكس من ذلك، والسبب في ذلك أن النبي ﷺ ندب الناس إلى تلقي أبي سفيان لأخذ ما معه من أموال قريش، وكان من معه قليلًا، فلم يظن أكثر الأنصار أنه يقع قتال، فلم يجز معه

(١) في «فتح الباري» (٧/ ٢٨٥).

منهم إلا القليل ولم يأخذوا أهبة الاستعداد كما ينبغي، بخلاف المشركين فإنهم خرجوا مستعدين ذابين عن أموالهم. اهـ.

* **قال الشنقيطي** رحمه الله[1]: **قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣] وصف الله المؤمنين في هذه الآية بكونهم أذلة حال نصره لهم ببدر. وقد جاء في آية أخرى وصفه تعالى لهم بأن لهم العزة، وهي **قوله تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، ولا يخفى ما بين العزة والذلة من التنافي والتضاد. والجواب ظاهر، وهو: أن معنى وصفهم بالذلة هو قلة عَدَدهم وعُدَدهم يوم بدر. **وقوله تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] نزل في غزوة المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق، وذلك بعد أن قويت شوكة المسلمين وكثر عَدَدهم وعُدَدهم، مع أن العزة والذلة يمكن الجمع بينهما باعتبار آخر، وهو: أن الذلة باعتبار حال المسلمين من قلة العَدَد والعُدَد، والعزة باعتبار نصر الله وتأييده، كما يشير إلى هذا **قوله تعالى**: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال:٢٦]، **وقوله**: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، فإن زمان الحال هو زمان عاملها، فزمان النصر هو زمان كونهم أذلة. فظهر أن وصف الذلة باعتبار، ووصف النصر والعزة باعتبار آخر، فانفكت الجهة. والعلم عند الله تعالى. اهـ.

---

(١) في "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب" ص (٧٤) [ط عطاءات العلم].

فائدة:

* **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: وذكر أهل العلم أن العزة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزة القدر، وعزة القهر، وعزة الامتناع:

١ - فعزة القدر: معناه أن الله تعالي ذو قدر عزيز، يعني: لا نظير له.

٢- وعزة القهر: هي عزة الغلبة، يعني: أنه غالب كل شيء قاهر كل شيء، ومنه **قوله تعالى عن أحد الخصمين**: ﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص:٢٣]، يعني: غلبني في الخطاب. فالله سبحانه عزيز، بل هو غالب كل شيء.

٣ - وعزة الامتناع: وهي أن الله تعالي يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ من القوة والصلابة، ومنه قولهم: أرض عزاز، يعني قوية شديدة.

هذه معاني العزة التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وهي تدل على كمال قهره وسلطانه، وعلى كمال صفاته، وعلى تمام تنزهه عن النقص.

تدل على كمال قهره وسلطانه في عزة القهر. وعلى تمام صفاته وكمالها وأنه لا مثيل لها في عزة القدر. وعلى تمام تنزهه عن العيب والنقص في عزة الامتناع.

قوله: ﴿وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، يعني: أن الرسول ﷺ له عزة، وللمؤمنين أيضًا عزة وغلبة. ولكن يجب أن نعلم أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كعزة الله، فإن عزة الرسول ﷺ والمؤمنين قد يشوبها ذلة؛ **لقوله تعالى**: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وقد يغلبون أحيانًا لحكمة يريدها الله ﷻ، ففي أُحُد لم يحصل لهم تمام العزة، لأنهم غلبوا في النهاية لحكم عظيمة، وكذلك في حنين ولوا مدبرين، ولم يبق مع النبي ﷺ، من

---

(١) "شرح العقيدة الواسطية" (١/ ٣٤٥).

أثني عشر ألفًا إلا نحو مائة رجل. هذا أيضًا فَقْدٌ للعزة لكنه مؤقت. أما عزة الله ﷻ، فلا يمكن أبدًا أن تفقد. وبهذا عرفنا أن العزة التي أثبتها الله لرسوله وللمؤمنين ليست كالعزة التي أثبتها لنفسه. اهـ.

* **وقال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: ومنها: أن من والاه ﷻ فلا ذل له لقوله: «**ولا يذل من واليت**» **فإن قال قائل**: أليس النبي ﷺ وأصحابه قد وصفهم الله بالذل في **قوله تعالى**: ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]؟ **فالجواب**: بلى، والمراد بالذل هنا: الذل النسبي، يعني: بالنسبة لقوة الكفار أنتم أذلة ومع ذلك نصركم الله.

☜ إذن من فوائد هذا الحديث: أنه لا يذل من والاه الله ﷻ لا في الدنيا ولا في الآخرة، لا يذله أمام نفسه ولا أمام غيره، فإنه يغلب نفسه الأمارة بالسوء، ويفعل ما به رضا الله ﷻ ولا يرد على هذا ما يقع بعض الأحيان من ذل أولياء الله ﷻ لأن هذا الذل شيء طارئ عاقبته العزة كما قال الله ﷻ في سورة آل عمران حين بين الفوائد العظيمة في غزوة أحد التي انهزم فيها المسلمون: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران:١٤٠]. وهذه غنيمة، ومنها أنه من أجل أن يمحق الكافرين، ومعنى ذلك: أن الكافر إذا انتصر ازداد طمعا فقاتل، فإذا قاتل صارت الهزيمة عليه هو، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله على قصة أحد فوائد عظيمة فقهيه وعقدية من أحب أن يراجعها فليفعل فإنه مفيد، فصار هذا الأمر أمرًا طارئًا، لكن عواقبه العز. اهـ.

---

(١) عند شرح حديث الحسن في قنوت الوتر في «فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام» (٢/ ١٣٨).

المسألة الثامنة والعشرون

حديث جُنْدُبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ». رواه مسلم (٢٦٢١).

وفي رواية أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.[1]

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من الحديث أن صاحب العبادة لم تنفعه عبادته فدخل النار، وصاحب المعاصي دخل الجنة، فيحصل التمادي في المعاصي، والتزهيد في العبادة، وهذا المعنى غير صحيح.

---

(١) رواه أبوداود (٤٩٠١). قال الألباني: صحيح. وصححه العلامة الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١٣٠٢).

✓ المعنى الصحيح:

❋ **قال العلامة العثيمين** رحمه الله[١]: وكذلك حديث جندب بن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخبر أن رجلا قال: والله لا يغفر الله لفلان. وكان هذا الرجل عابدًا معجبًا بعمله محتقرا لأخيه، الذي رآه مفرطا، فأقسم أن الله لا يغفر له، فقال الله عز وجل: من ذا الذي يتألى على أن لا أغفر لفلان، يعني من ذا الذي يحلف علي أن لا أغفر لفلان، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، إني قد غفرت له وأحبطت عملك، أعوذ بالله، تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته أهلكته؛ لأنه قال ذلك معجبًا بنفسه، محتقرًا لأخيه، فأقسم أن الله لا يغفر له، فغفر الله لهذا الرجل، لأن معاصيه دون الشرك، أو لأن الله تعالى من عليه فتاب، وأما الآخر فأحبط عمله؛ لأنه أعجب بعمله والعياذ بالله، وتألى على ربه وأقسم عليه أن لا يغفر لفلان، والله تعالى كامل السلطان، لا يتألى عليه أحد، ولكن إذا حسن ظن المرء بربه، وتألى على الله في أمر ليس فيه عدوان على الغير، فإن النبي ﷺ قال: «**رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**» والله الموفق. اهـ.

❋ **وقال** رحمه الله[٢]: والرجل المطيع الذي يمر بالعاصي من بني إسرائيل، ويقول: والله؛ لا يغفر الله لفلان. قال الله له: من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان؟ قد غفرت له وأحبطت عملك؛ فيجب على الإنسان أن يمسك اللسان؛ لأن زلته عظيمة، ثم إننا نشاهد أو نسمع قوما كانوا من أكفر عباد الله وأشدهم عداوة انقلبوا أولياء لله، فإذا كان كذلك؛ فلماذا نستبعد رحمة الله من قوم كانوا عتاة؟

---

(١) في «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٦١).

(٢) في «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٩/ ٢٨٣).

وما دام الإنسان لم يمت؛ فكل شيء ممكن، كما أن المسلم نسأل الله الحماية قد يزيغ قلبه لما كان فيه من سريرة فاسدة. فالمهم أن هذا الحديث يجب أن يتخذ عبرة للمعتبر في أنك لا تستبعد رحمة الله من أي إنسان كان عاصيا. اهـ.

* **وقال** رحمه الله[1]: ومن ذلك قصة الرجل العابد الذي كان يمر برجل مسرف على نفسه، فقال: والله لا يغفر الله لفلان، أقسم أن الله لا يغفر له، لماذا يقسم؟ هل المغفرة بيده؟ هل الرحمة بيده؟ فقال الله جل وعلا: «**من ذا الذي يتألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟**» استفهام وإنكار «**فإني قد غفرت له وأحبطت عملك**»؛ نتيجة سيئة والعياذ بالله، لم يبر الله بقسمه، بل أحبط عمله، لأنه قال ذلك إعجابًا بعمله، وإعجابًا بنفسه، واستكبارًا على عباد الله ﷻ. اهـ.

☜ ويحمل قوله: «**قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» على أحد وجهين:

١ - أن الإحباط هو لكامل عمله؛ وذلك لكونه قد تعلق بعمل نفسه، وظن أن له بذلك إدلالًا وتحكمًا على الله تعالى في رحمته، فكان هذا سببًا لإبطال كل ما سبق من عمله، حيث فقد ركنًا من أركان العبادة، وهو ركن الذل والخضوع لله تعالى.

٢ - أن الإحباط هو لنوع العمل الذي كان متقدما فيه على ذلك العاصي الذي قصر فيه هذا الأخير، فيكون الإحباط جزئيا من باب العقوبة على ذلك التألي. والله تعالى أعلم بالصواب. اهـ.

---

(١) في «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٦٦).

المسألة التاسعة والعشرون

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [الزخرف:٨٤].

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من الآية أنه سبحانه في كل مكان بذاته، وهذا المعنى باطل وغير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* قال شيخ الإسلام رحمه الله[١]: قال ابن قتيبة: وأما قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤] فليس في ذلك ما يدل على الحلول بهما، وإنما أراد أنه إله السماء ومن فيها وإله الأرض ومن فيها. ومثل هذا من الكلام قولك: هو بخراسان أمير، وبمصر أمير، فالإمارة تجتمع له فيهما، وهو حال بأحدهما أو بغيرهما. هذا واضح لا يخفى. اهـ.

* وقال رحمه الله[٢]: وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي هو إله من في السماوات وإله من في الأرض كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم:٢٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:٣]، كما فسره أئمة العلم، كـ الإمام أحمد وغيره: أنه المعبود في السماوات والأرض. اهـ.

---

(١) كما في «شرح حديث النزول» ص (٦٠).

(٢) كما في «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» ص (١٢٣).

* **وقال ابن كثير** رحمه الله: **وقوله**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ أي: هو إله من في السماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما، وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف:٨٤].

وهذه الآية **كقوله تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام:٣] أي: هو المدعو الله في السموات والأرض. اهـ.

* **وقال العلامة العثيمين** رحمه الله[1]: **فإن قلت**: كيف تجمع بين هذه الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] وبين **قوله تعالى**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، **وقوله**: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام:٣]؟!

فالجواب: أن نقول:

أما الآية الأولى، فإن الله **يقول**: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، فالظرف هنا لألوهيته، يعني: أن ألوهيته ثابتة في السماء وفي الأرض، كما تقول: فلان أمير في المدينة ومكة، فهو نفسه في واحدة منهما، وفيهما جميعًا بإمارته وسلطته، فالله تعالى ألوهيته في السماء وفي الأرض، وأما هو ﷻ ففي السماء.

أما الآية الثاني: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ فنقول فيها كما قلنا في التي قبلها: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾، أي: وهو الإله الذي ألوهيته في السماوات وفي الأرض، أما هو نفسه، ففي السماء. فيكون المعني: هو المألوه في السماوات المألوه في الأرض، فألوهيته في السماوات وفي الأرض. فتخرج هذه الآية كتخريج التي قبلها.

---

(١) في «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٣٩٩).

وقيل المعنى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، ثم تقف، ثم تقرأ: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ﴾ [الأنعام:٣]، أي أنه نفسه في السماوات، ويعلم سركم وجهركم في الأرض، فليس كونه في السماء مع علوه بمانع من علمه بسركم وجهركم في الأرض.

وهذا المعني فيه شيء من الضعف، لأنه يقتضي تفكيك الآية وعدم ارتباط بعضها ببعض، **والصواب الأول:** أن نقول: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، يعني أن ألوهيته ثابتة في السماوات وفي الأرض، فتطابق الآية الأخرى. اهـ.

المسألة الثلاثون

حديث مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ رَبُّكُمْ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلَأْ يَدَيْكَ رِزْقًا، يَا ابْنَ آدَمَ لَا تَبَاعَدْ مِنِّي فَأَمْلَأَ قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَأَ يَدَيْكَ شُغْلًا**»(١).

× المعنى غير الصحيح: قد يفهم بعضهم من قوله: «**تفرغ لعبادتي**»: ذم العمل والاكتساب وهذا الفهم غير صحيح.

✓ المعنى الصحيح:

* **قال الصنعاني** رحمه الله(٢): والمراد من التفرغ للعبادة إيثارها على حظوظ الدنيا والإتيان بما أمر به منها فلا تلهيه عن ذكر الله لا أنه لا يفعل إلا العبادة. اهـ.

☜ فالمراد: ألا يلهيه طلب الرزق عن عبادة الله، بل إن من اعظم أسباب الرزق والغنى الإقبال على عبادة الله.

* **يقول السعدي** رحمه الله في تفسير **قوله تعالى**: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور:٣٧]: وهذا يشمل كل تكسب يقصد به العوض، فيكون قوله: ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ من باب عطف الخاص على العام؛ لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال، وإن اتجروا، وباعوا، واشتروا، فإن ذلك، لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك،

---

(١) رواه الحاكم، وهو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» برقم (١١٢٧).

(٢) كما في «التنوير شرح الجامع الصغير» (٣/ ٤١٠).

بأن يقدموها ويؤثروها على ﴿ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾، بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه. اهـ.

☜ وقد وردت الأدلة بالحث على الكسب الحلال الطيب والاستغناء عن الناس والصدقة من عمل اليد:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧].

وَعَنِ المِقْدَامِ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عليه السلام، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». رواه البخاري (٢٠٧٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عليه السلام القُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». رواه البخاري (٣٤١٧).

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ**»(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٧٢٦٥)، وهو في «الصحيحة» للألباني برقم (٦٠٧).

(٢) رواه أحمد، وهو في «الصحيح المسند» (١٢٦٦).

وَعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**». رواه البخاري (١٤٧١).

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ﴾ أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، ولزورك عليك حقا، فآت كل ذي حق حقه. اهـ.

والصحابة رضوان الله عليهم المهاجرون منهم كانوا يتجرون ويصفقون في الأسواق، والأنصار منهم كانوا يعملون في مزارعهم، ولم يكن يلهيهم ذلك أو يشغلهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، وطلب العلم والدعوة إلى الله سبحانه، وقد نقلوا لنا هذا الدين، وحفظ الله بهم دينه وبلغوه في الأمصار، ولكن كانت الدنيا في أيديهم ولم تكن في قلوبهم، كانوا يقدمون طاعة الله ورسوله على حاجاتهم، ويبذلون أموالهم في سبيل الله، حتى وجد منهم من يحامل على ظهره من أجل أن يتصدق، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣
المسألة الأولى ٦
المسألة الثانية ١١
المسألة الثالثة ١٤
المسألة الرابعة ١٩
المسألة الخامسة ٢٣
المسألة السادسة ٢٨
المسألة السابعة ٤٠
المسألة الثامنة ٤٣
المسألة التاسعة ٤٧
المسألة العاشرة ٤٩
المسألة الحادية عشرة ٥٢
المسألة الثانية عشرة ٥٦
المسألة الثالثة عشرة ٦٢
المسألة الرابعة عشرة ٦٤
المسألة الخامسة عشرة ٦٧
المسألة السادسة عشرة ٧٠
المسألة السابعة عشرة ٧٤
المسألة الثامنة عشرة ٧٦
المسالة التاسعة عشرة ٧٩
المسألة العشرون ٨١

المسألة الواحدة والعشرون ٨٥
المسألة الثانية والعشرون ٨٧
المسألة الثالثة والعشرون ٨٩
المسألة الرابعة والعشرون ٩١
المسألة الخامسة والعشرون ٩٤
المسألة السادسة والعشرون ١٠٢
المسألة السابعة والعشرون ١٠٧
المسألة الثامنة والعشرون ١١١
المسألة التاسعة والعشرون ١١٤
المسألة الثلاثون ١١٧
فهرس الموضوعات ١٢٠